



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الطاهر مولاي سعيدة-  
كلية الآداب والفنون واللغات



شعبة: الآداب

التخصص: نقد ومناهج

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في الآداب العربي

الموضوع:

قراءة في كتاب الإستشراق (المعرفة- السلطة- الإنشاء) لإدوارد سعيد

من إعداد الطلبة:

عدادي مروى

نوارى رقية

تحت إشراف الأستاذ:

جيلالي بومدين

السنة الجامعية: 2020/2019

## إهداء وشكر :

أهدي هذا العمل إلى والدي الذي كان سندا لي طوال حياتي ، وفخري ، وأتمنى أن أكون فخرا له ، وأنال حبه ورضاه عني ، فكل الكلمات لا تعبر عن شكري وامتناني له ، فهو دنيتي وبيتي.

وإلى من سهرت الليالي وتكبدت العناء لراحتي نور عيني ومصدر قوتي والدتي .

وأسأل الله أن يحفظهما لينيرا لي حياتي .

وإلى رفيقة روعي وأختي الغالية صفاء ، وأشكرها على مساعدتها ودعمها لي .

كما أهديه إلى أخواتي وفرحة العائلة دعاء وبخلة نور الهدى ، توأم البيت آلاء وولاء وإلى كتكوتة العائلة ومدللتها خلود .

وإلى أخي الغالي بلعيد وأخي عبد الكريم وأشكرهما على دعمهما ، ومجمعا أهديه إلى عائلتي الكبيرة عداي وإلى عائلتي الثانية حبيبي وأشكرهم على دعمهم

لا أنسى شريكتي في العمل وصديقتي رقية وأتمنى من الله أن نكمل مشوارنا معا .

وإلى أستاذي الفاضل وأستاذ الجميع جلالى بومدين ، وأشكره على مساعدته لنا ودعمه

وأقدم كل احترامي وتقديري إلى أساتذتي من الإبتدائية إلى الجامعة ، فأنا هنا بسببهم وبسبب جهودهم المبذول لتكوينني .

ولا أنسى صديقتي الغالية زينب ، وأشكرها على وقوفها إلى جانبي ودعمها ، وأتمنى لها النجاح والتوفيق

إهداء:

إلى أبي ، أول من علمني معنى الفقد

وأول شخص تمنيت لو أنه بقي

ثم إلى أمي ، سمحة الوجه والقلب

أدامك الله يا من أثقلت القلب بطمأنينة ربانية

إلى إخوتي ، من كان لهم بالغ الأثر في كثير

من العقبات والصعاب ، إلى جميع أساتذتي

الكرام ، ممن لم يتوانوا في مد يد العون لي .

إلى من عملت معي بكد بغية إتمام هذا العمل ،

إلى صديقتي ورفيقة دربي مروى .

ولا ينبغي أن أنسى أستاذي الفاضل جلالى بومدين

كان له الدور الأكبر في مساندته لنا ودعمه

إهداء لكم أنتم أيا الراحلون

فربما في البوح يستقيم عوج الفقد في شغاف القلو

أ	اهداء
ج	فهرس المحتويات
1	مقدمة
الفصل الاول الاستشراق مناوجه ومواطنه	
4	مفهوم الاستشراق
6	مناهج الاستشراق
16	مواطن الاستشراق
الفصل الثاني الاستشراق ( المعرفة - السلطة - الانشاء )	
22	بطاقة فنية للكتاب
25	نشأة ادوارد سعيد
34	ملخص الكتاب
الفصل الثاني تقييم الكتاب	
41	نقد الافكار والاسلوب
50	اهمية الكتاب وقيمته
52	الاستشراق بين دعائه ومعارضيه
55	كشاف المصطلحي
56	خاتمة
57	قائمة المصادر والمراجع

## مقدمة :

يعتبر الاستشراق مؤسسة وحركة معرفية تهدف إلى معرفة الشرق ودلالاته ،لغاته ،عقائده وأديانه وتركيباته السياسية والاجتماعية والإقتصادية والتاريخية والجغرافية،فهو مدرسة فكرية ذات خصائص ودوافع وغايات ، وليس من اليسير على أي باحث أن يحيط بأسراره ويكتشف خطواته ويلم بأهدافه ، وقد نشأت حركة الاستشراق كظاهرة ثقافية في أعقاب ذلك الصدام العنيف بين الحضارتين المختلفتين الحضارة الإسلامية المتوثبة والحضارة الغربية المسيحية، المتخاذلة إذا استطاعت الحضارة الإسلامية أن تبسط سلطاتها على جزء كبير من آسيا وإفريقيا ، وامتدت إلى جنوب إفريقيا وأقامت دولا كبيرة ذات قوة وحضارة ، أسهمت في ثقافة الإنسان وأضافت الكثير من المعارف ، والنظريات .

وكان إدوارد سعيد من بين الذين كانت لهم رؤى واسعة في موضوع الاستشراق ، وقد برهن ذلك في مؤلفه الذي أحدث ثورة في المجال الاستشراقي عنوانه " الإستشراق " وعن طريق دراسة حركة الاستشراق ،حاول معرفة المنطلق الحقيقي للمشروع الغربي والكشف عن آلياته الحقيقية من خلال علاقة الشرق بالغرب فإذا كان الإستشراق قد شهد اهتماما متواصلا مع تطور الثقافة العربية عقب ما يسمى بعصر النهضة أواسط القرن التاسع عشر في المشرق العربي الإسلامي فإن سر هذا الاهتمام يرد إلى الحاجة الملحة لمعرفة طرائق تفكير العقل الغربي بالعرب والمسلمين ، فليس من الصعب على أي قارئ أن يدرك الإشكالية التي يعيشها الفكر العربي الإسلامي في نظرتة وموقفه من الإستشراق .الإشكالية التي تمثلت بتضارب واختلاف مواقف المفكرين العرب من أعمال المستشرقين عموما ،بالرغم من أن الغالب على هذه المواقف هو الرفض القاطع لكل ما صدر ويصدر عن المستشرقين من دراسات وآراء .

وقد قمنا بقراءة مؤلف إدوارد سعيد المذكور سابقا " الإستشراق " وبينما نحن في صدد هذه القراءة تبادرت في ذهننا تمثلت في : كيف سيكون هذا الكتاب ؟ هل هو غامض أم مفهوم؟ !

ماذا يريد إدوار سعيد أن يوصل للقارئ ؟

ماهي أهم الأفكار والاستنتاجات التي ستكشفها لنا قراءة هذا الكتاب ؟ هل لقي صدى عند الغرب والعرب معا؟ ومن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع هو موضوع شيق ومتنوع لا يخص مجال الادب فقط وإنما يخص مجالات عدة كالسياسة والتاريخ ..إلخ

شدنا عنوان الاستشراق وهذا كان الدافع الأساسي في دراسة هذا الكتاب

تمالكننا الفضول فيما يخص معرفة ماهية هذا العنوان وما يحويه

اكتشاف ثقافات متعددة لبلدان عدة عربية منها وغربية .

المنهج الذي اتبعناه هو منهج وصفي استقرائي

من الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجازنا لهذه المذكرة الوضع الصعب الذي يمر به العالم في هذه الأونة ، فأصبحنا نتواصل عبر الهاتف فقط ولا نلتقي نظرا لبعده المسافات .

ولترتيب المعلومات التي بجعبتنا الخاصة بهذا البحث اتبعنا خطة بحث تتدرج تحتها ثلاث فصول في كل فصل ثلاث مباحث وهي ممنهجة على النحو الآتي :

مقدمة

الفصل الأول : الإستشراق مناهجه ومواطنه

المبحث الأول : مفهوم الإستشراق – المستشرقون

المبحث الثاني : مناهج الإستشراق

المبحث الثالث: مواطن الإستشراق

الفصل الثاني : الإستشراق المعرفة – السلطة – الإنشاء

المبحث الأول : بطاقة فنية للكتاب

المبحث الثاني : نشأة إدوارد سعيد

المبحث الثالث : ملخص الكتاب

الفصل الثالث : تقييم الكتاب

المبحث الأول : نقد الأفكار والأسلوب

المبحث الثاني : أهمية الكتاب وقيمه

المبحث الثالث : الاستشراق بين دعائه ومعارضيه

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

- ✓ الإستشراق مناهجه ومواطنه
- ✓ مفهوم الإستشراق – المستشرقون
- ✓ مناهج الإستشراق
- ✓ مواطن الإستشراق

الفصل الأول: الإستشراق ، مناهجه ومواطنه :

المبحث الأول :

1. مفهوم الإستشراق :

1-1- المفهوم الأول للإستشراق: Orientalisme:

يشير هذا المصطلح في مدلوله الأساسي أو المتداول إلى الإهتمام العلمي أو الأكاديمي الغربي بالثقافات الشرقية، أو الآسيوية تحديدا بما في ذلك الشرقيين الأقصى والأدنى، بما يتضمنه ذلك الإهتمام من دراسة وتحقيق وترجمة. ومن ناحية أخرى تشير العبارة إلى توجيهات في الفنون الغربية سواء التشكيلي منها أو الأدبي "استلهم" الشرق بمقتضاها ووظف فنيا. وقد طرأ تغير أساسي في مدلول المصطلح حين أصدر الناقد العربي الأمريكي إدوارد سعيد كتاب "الإستشراق 1978" اكتسى المصطلح بمقتضاها مدلولاً آخر بعيداً عن الصبغة الحيادية التي تلبسته زمناً طويلاً<sup>1</sup>.

1-2- المفهوم الثاني للإستشراق :

الإستشراق علم يدرس لغات الشرق وتراثهم وحضارتهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم ... و يدخل ضمن معنى الشرق أي منطقة شرقية، ولكن (المصطلح) الفارسية والتركية ... وقد بدأت الدراسات تتسع وتنتقل حتى أصبح لكل منطقة من المناطق تسميتها فبدأ بعضهم يدعو دراسة اللغة العربية وشؤون العرب بالدراسات العربية ويدعو المستشرقين المتخصصين ب"المستعربين"<sup>2</sup>.

1-3- المفهوم الثالث للإستشراق:

الإستشراق مدرسة فكرية ذات خصائص ودوافع وغايات، وليس من اليسير على أي باحث أن يحيط بأسرار هذه المدرسة وأن يلم بأهدافها فهي وليد صراع طويل بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية، وهي نتائج تجربة حية من التناقض والتباين بين العقيدتين والثقافتين والحضارتين.<sup>3</sup>

1-4- المفهوم الرابع للإستشراق :

يقول بارت: الإستشراق علم يختص بفقهاء اللغة خاصة ويعرف جويدي علم الإستشراق والمستشرق فيقول "و الوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب وإنما هو علم الشرق، ومن الممكن أن نقول: إنه بناء على الإرتباط المتين بين التمدن الغربي، والتمدن الشرقي، ليس علم الشرق إلا باباً من أبواب تاريخ الروح الإنساني، وليس صاحب علم الشرق الجديد بهذا اللقب الذي يقتصر على هو جمع بين

<sup>1</sup> ميجان الروبلي وسعد الجازعي كتاب دليل الناقد الأدبي، الطبعة الثالثة 2002 المركز الثقافي العربي ص 33  
<sup>2</sup> سعدون الساموك، كتاب الإستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى 1431 هـ، 2010م دار المناهج للنشر والتوزيع ص 132  
<sup>3</sup> محمد فاروق النبهان، الإستشراق تعريفه، مدارسه آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو 1433 هـ 2012م ص 11.



الإنقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق ، وبين الوقوف على القوى الروحية الأدبية الكبيرة التي أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية.<sup>1</sup>

### 1-5-المفهوم الخامس للإستشراق:

الإستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة "مستشرق" بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله ... أقصاه ووسطه وأدناه، في لغته وآدابه وحضارته وأديانه. لكننا هنا لا نقصد بالأشخاص هذا المفهوم الواسع، ولا يعيننا هنا أنا نتعرض لبحثه، كما لا يعيننا أيضا أن نتعرض للتغيرات الجغرافية والحضارية التي طرأت على مفهوم الشرق في مختلف العصور، وإنما كل ما يعيننا هنا هو المعنى الخاص للشرق لمفهوم الإستشراق الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغته وآدابه وتاريخه وعقائده، وتشريعاته و حضارته بوجه عام. وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق ومستشرق، وهو الشائع أيضا في كتابات المستشرقين المعنيين. ومن الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الإستشراق وإن كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب النصراني يؤرخ لبدء وجود "الإستشراق الرسمي" بصدور قرار مجمع "فيينا" ... من الجامعات الأوروبية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أحمد عبد الرحيم السايح. كتاب الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية . الطبعة الأولى 1417 هـ، 1996. ص11  
<sup>2</sup> محمود حمدي زقزوق. كتاب الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. دار المنار الطبعة الثانية 1409 هـ، 1989م ص24.

#### 1 مناهج الاستشراق

##### 1-1-أولا : المستشرقون واللغة العربية:

قبل الدخول إلى مناهج المستشرقين في الدراسة الإسلامية، لا بد من التعرّيج على مناهجهم في اللغة العربية ، فاهتموا بها التفريق بين لغة المدن و القرى والبوادي واستخدموا هذه الأسس في التفريق بين الطوائف الدينية كالنصرانية واليهودية .

اهتم المستشرقون بدراسة اللهجات العامية واللغة العربية واعتنوا بشكل خاص بالظواهر النادرة فيفردون لها البحوث المتخصصة في وصفها واستيعابها وتسجيلها تاريخيا.

وكانت المستشرقين زوابع كثيرة للدعوات العامية وخاصة في الفترات التي كثر فيها المبشرون في العالم الإسلامي العربي لغرض التنصير والتركيّز على دراية اللهجات المندثرة كالأمازيغية في شمال إفريقيا والقبطية والنوبية في مصر وغيرها.<sup>1</sup>

ولقد حصر الأستاذ إسماعيل أحمد عمارة بدراسة العربية واللهجات المحلية بستة مناهج هي:

- **المنهج المعياري:** الذي يعنى بدراسات النصية التي تهدف إلى فهم النص خلال المعايير المستقاة منه بغرض الوقوف على معناه.
- **المنهج التاريخي:** وهو المنهج الذي يهتم باللغة المكتوب التي دونت في وثائق حتى لو لم تكن حية منطوقة .
- **المنهج المقارن:** وهو جزء من المنهج التاريخي في دراسة اللغة وهو يتميز عن التاريخي بعنايته بالبحث عن الظاهرة اللغوية في أكثر من لغة .
- **المنهج الوصفي:** الذي يدرس اللغة المنطوقة فقط فهو يهتم بالظاهرة اللغوية وبدراسة اللهجات ، فكان تركيز أصحابه على وصفها من خلال واقعها المنطوق وليس من خلال الوثائق المكتوبة.
- **المنهج التقابلي:** الذي يعاني بالموازنة بين اللغات والفرق بينه وبين المنهج التاريخي، فالأول يقصد التعليم ومعرفة المشكلات التي يعاني منها الدارس والثاني يوازن بين اللغات في التأصيل والوقوف على جوانب التطور<sup>2</sup>

<sup>1</sup> سعدون الساموك ص32

<sup>2</sup> / المرجع نفسه ص33

### • المنهج الإحصائي : ويهتم بالوقوف على الظواهر اللغوية الأكثر شيوعا في اللغة الواحدة.<sup>1</sup>

وعلى الرغم من اختلاف المناهج وكثرتها بدراسة اللغة العربية واللهجات المحلية إلا أن اللهجات لم تحل محل لغة الأم، بل إن الذي حصل هو التقريب ما بين اللهجات والفصحى وذلك بفعل الدراسات اللغوية الكثيرة، وتوسع الجامعات في البلدان بالعربية وإصرار العرب في كل مكان على الاستمرار والمحافظة على اللغة العربية الأم. إن الاستشراق يهتم الأدب العربي بضعف أو فقدان التجربة الإنسانية الصادقة، فالمستشرقون في منهجيتهم تجاه اللغة العربية يتصفون بعدم الدقة والإنصاف في دراستهم لها. ويرى الدكتور محمد حسين هيكل أنهم لم يتمكنوا من الإحاطة بأسرارها. كما أن المستشرقين يضعون النصوص في غير نصابها ويحملونها مالا تطيق ألفاظهم وما لا تدل عليه معانيها ، فالاستشراق يلح دائما على أن العربية لا تصلح لغة للعلم المعاصر. وأن قواعد نحوها وصرفها عسيرة. وما يهم في هذه المناهج أنها خلف إبراز هذه الدعوات لإحلال العامية محل العربية التي هي لغة القرآن وبالتالي لغة الأمة لقوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون الحجر/9"

### 1-1-2- مناهج المستشرقون في الدراسات الإسلامية :

- **المنهج التاريخي:** وهو الذي يهتم بالوثائق والمخطوطات، ويوازن ما بين الموجودات من المعلومات بقصد التأصيل.
- **المنهج الاستقرائي:** أو القياس والذي بني على قواعد مميزة كان من المفروض أن تضبط عملية استنباط النتائج والمبادئ من الأحداث التي رويت ضمن المنهج العلمي السردى.
- **المنهج الذاتي:** وهو الذي يقحم المستشرق فيه نزعه الذاتية أو إتجاهه الفكري والديني- المسيحي أو اليهودي- والسياسي في تفسير الأحداث وتعليلها والحكم على إبطالها، وأتباع هذا المنهج يجعلون الدين خاضعا للمقاييس العلمية التي تبعد الغيبيات والوحي عن سير الأحداث الإسلامية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> سعدون الساموك ص34

<sup>2</sup> مرجع نفسه ص35

### 1-2-ثانيا : المستشرقون والعقيدة الإسلامية:

يحاول الكثير من المستشرقين أن يسبغ ما يراه أو يراه أو ما يعتقد على المسلمين دون فهم للإسلام وحقيقة الاسلام ،فهم لا يعرضون آراء القرآن الكريم أو السنة النبوية وإنما يستعرضونها من خلال فهمهم لتلك المواضيع .فيقول أحد المستشرقين في تفسير قوله تعالى "والى الله المصير"النور 42/ فاطر 18/.

(أن إله الإسلام جابر مترفع بينما إله المسيحية عطوف متواضع ،ظهر في صورة إنسان هو الإبن الإله ،فعقيدة التثليث المسيحية قربت الإنسان للإله ، وعقيدة التوحيد الإسلامية باعدت بينهما و جعلت الإنسان خائفا متشائما)<sup>1</sup>

يتساءل الدكتور محمد الدسوقي بقوله : "أليس هذا شيئا غريبا ،هذا اليهودي الذي يدعي أنه مؤمن بالوحدانية وينكر عقيدة التثليث يوازن هنا بين ما يدعو إليه القرآن من الإيمان بإله واحد وبين مذهب التثليث عند النصارى..."

إن هذا الكلام الذي يلقي على عواهنه يحكم على هذا المستشرق بالتضليل والنفاق ، فهو إذن يتخذ ما يقوله ذريعة لكسب ود المسيحيين وعطفهم من أجل نصره المبادئ الصهيونية التي تعكسها بروتوكولات حكماء اليهود ،فهو النفاق وليس البحث العلمي النزيه.

أما بالنسبة للألوهية عند المسلمين فيقول الدكتور الدسوقي فيها : "إن المسلمين لا يؤمنون بإله خاص بهم ، ولكنهم يؤمنون بالله الواحد الأحد ،رب السماوات والأرض وما فيهن . الطريق الذي انتهجه المستشرقون في نظرتهم إلى الألوهية في الإسلام تعتمد على:

-عدم النزاهة والعلمية

-هيمنة مفاهيم الكنيسة على عقول المستشرقين من النصارى.

-روح التعصب الذي يبعد عن الموضوعية .

-نزعة التشويه والتضليل

-النفاق الذي يردده بعض المستشرقين أمثال جولد تسيهر Gold ziher

<sup>1</sup> سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية،طبعة 1 1431هـ-2010م لدار المناهج للنشر و التوزيع ص36

### 1-3-ثالثا: المستشرقون والقرآن الكريم:

القرآن الكريم هو عمدة الملة وينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الإبصار والبصائر، وأنه الطريق الى الله ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، اشتمل على الفرائض والآداب التي يهدي للتي هي اقوم، المعجزة الأبدية التي لا ولن يلحقها تبديل ولا تحريف والذي قال فيه الباري عز وجل: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون." الحجر 9 هذا الكتاب لم يلحقه ضياع وتحريف وتبديد للغة، ولا يوجد تشابه مع دراساتهم القرآنية، ولهم أسلوبهم الفكري الذي يتميز كل مستشرق به وطريقته في عرض آراءه وإن كانت تجمعهم مواقف واحدة.

فقد ذكر الدكتور محمد الدسوقي مستشرقين آخرين قد تكلموا في القرآن الكريم وهما بودلي وبروكلمان الاول فرنسي والثاني ألماني، وقد عقد الأول في كتابه "الرسول حياة محمد" فصلا تحدث فيه عن أسس العقيدة الإسلامية.<sup>1</sup>

وهو يعتمد في هذا على القرآن الكريم، قد استهل حديثه بمقدمة توحى إلى القارئ بأن الكاتب يؤمن بسلامة تلك العقيدة، فهو ينفي عن الرسول صلى الله عليه وسلم الكذب والادعاء، والنقل من كتب السابقين، ثم يعرج بعد ذلك إلى التصريح بأن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم فيها من اليهودية والمسيحية والوثنية، وأن كل مبادئ الإسلام قد جاءت صدى للبيئة التي عاش فيها الرسول صلى الله عليه، فالزكاة في نظر بودلي غير واجبة وقد فرضها محمد صلى الله عليه وسلم رافة بالضعفاء الذين شاهدتهم يعذبون في أودية مكة وبلغ التعصب ببعض المستشرقين أنهم ذهبوا إلى أن اشتمال القرآن على مبادئ عادلة وفضائل كاملة لا يعني أنه من عند الله. فالتعاليم التي جاء بها التوراة والإنجيل أشرف من تعاليم القرآن الكريم، ومن ثم فليس وحيا إلهيا وإنما هو تليف من شتى المصادر الدينية وغيرها.

وخاض الاستشراق في تاريخ القرآن فشكك في وسائل استخدمت لحفظه، ومن ثم نفي أن يكون القرآن قد دون في عهد النبوة وحكم على ما دونه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه يختلف في مضمونه وترتيبه عما كان يحتفظ به بعض الصحابة، وأن مصحف عثمان لم يلق قبول من كل المسلمين، وأنه في عهد عبد الملك بن مروان أدخلت على القرآن تغييرات وتعديلات.

وكما كانت آراء المستشرقين في مصدر القرآن غير علمية أو موضوعية، كانت آراءهم في تاريخ القرآن كذلك، فعلى أي أساس بنى بلاشير رأيه في أن فواتح السور بالحروف المقطعة يرمز الى الصحف التي كانت عند الصحابة، إن هذا المستشرق ذهب به الخيال والافتراض مذهبا غريبا وبعيدا عن الحق وهو

<sup>1</sup> سعدون الساموك ص41

فيما ذهب إليه لا يملك دليلاً علمياً، ولا يستطيع أن يبرهن على تلك والنظرية الفاسدة في تفسير الحروف المقطعة التي بدأت بها بعض السور، وكانت من شواهد الإعجاز القرآني.

يناقش جولد تسيهر في حكمه على اضطراب النص القرآني، يلقي القول على عواهنه، فلم يقم هذا الحكم على فكر سليم وبحث علمي دقيق، وإنما قام على الرغبة في تشويه الكتاب الذي أحكمت آياته.

إن هذا المستشرق معروف بأحقاده وتعصبه، وهو في كل آراءه يحاول أن ينفث سمومه، وأن يقدم الإسلام ونبيه وكتابه الخالد والتراث العلمي الإسلامي في صورة منفردة تسيء إلى هذا الدين والمؤمنين به، ومن ثم كانت دراسته عن الإسلام والمسلمين كلها سموم وافتراءات وأحقاد.<sup>1</sup>

والاستشراق يتهم الصحابة بأنهم أضافوا إلى هذا النص ما ليس منه وأن الأهواء السياسية لعبت دورها في تغيير بعض الآيات أو حذفها.

إن الاستشراق تكلم في تاريخ القرآن كلاماً يدور كله في ذلك اتهام المسلمين في القرن الأول بأنهم حذفوا وغيروا وأضافوا، ولكي يلبسوا هذا الاتهام ثوب الحقيقة العلمية عولوا على بعض الآثار الضعيفة، والروايات الموضوعية ولم يرجعوا إلى المصادر الأصلية والأقوال الصحيحة.<sup>2</sup>

حاول المستشرقون التشكيك في أمرين:

الأول: الجانب الإلهي في القرآن

الثاني: التشكيك في الروايات المتعلقة بجمعه ونسخه وقراءاته.

ومن أبرز من حاول التشكيك في النص القرآني المستشرق جولد تسيهر في كتابه "مذهب التفسير الإسلامي". حيث اعتبر أن النص القرآني مضطرب وغير ثابت وعباراته واضحة التحيز والتعصب. وقال في كتابه: "فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعتراف عضويًا على أنه منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله، مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في النص القرآني"

وحاول بلاشير في كتابه "مدخل إلى القرآن" أن يثير بعض الشكوك حول كتابة القرآن في المرحلة الأولى من نزوله، ولا ينفي احتمال أن يكون النص الأصلي قد أدخلت عليه بعض الزيادات الطفيفة في العهود المتأخرة.

<sup>1</sup> سعدون الساموك ص 46-47

سعدون الساموك ص 48<sup>2</sup>

إذا كان جولد تسيهر يرى في النص القرآني اضطراباً، فإن هذا القول ينافي الواقع، فالنص القرآني من أقوى النصوص دقة وأكثرها صحة ولم يخدم نصاً من نصوص الكتب القديمة أو الحديثة كما خدم النص القرآني، ولم يصل أي نص إلى درجة القطعية واليقين من حيث الثبوت كما وصل إليه النص القرآني، ولعل جولد تسيهر أراد بذلك تعدد القراءات، والقراءات كما هو معروف ليست هي الأحرف السبعة، واختلاف القراءات لا يعتبر اختلافاً في النص وإنما هو اختلاف في كيفية الأداء، ولا يخل بالمعنى ولا يخرج عن مقتضى الرسم القرآني<sup>1</sup>

ويمكن تلخيص موقف المستشرقين من القرآن الكريم بما يلي:

- 1- أنه كتاب بشري ألفه محمد صلى الله عليه .
- 2- أنه ليس وحياً.
- 3- أنه ليس معجزة.
- 4- أنه كتاب مليء بالتناقضات كالجبر والاختيار وغيرها.
- 5- أنه خليط من الكتب اليهودية واليونانية وعادات الأمم الأخرى متخذاً من القصص والحكم والمواعظ والأمثال والأوامر والنواهي الواردة في التوراة والإنجيل والكتب السماوية الأخرى. مثلاً على ذلك ، ناسيا المصدرية الواحدة لكل الكتب السماوية، وهي الله تعالى. كذلك متخذاً من موضوع اتخاذ محمد صلى الله عليه وسلم ببعض الاحبار والرهبان سواء في رحلاته أو في مكة وضواحيها أم يثرب والواحات القريبة منها ، والتي طرأ فيها الكلام الكثير عن صحتها أو عدم صحتها ، وليس هناك أي دليل على اجتماع الرسول صلى الله عليه وسلم بأي من الاحبار أو الرهبان في سيرته وكل الكلام في ذلك من تخيل المستشرقين وأسيادهم.
- 6- أن دراسات المستشرقين حوله تتسم بالأهواء والسطحية، لا موضوعية تسبغه ولا دقة علمية .
- 7- أنه كتاب يدعو للإصلاح الاجتماعي بتأثيرات داخلية ببيئة جغرافية واجتماعية وثقافية للعرب.

<sup>1</sup> د محمد الفاروق النبهان، الاستشراق تعريفه، مدارسه، وأثاره منشورات المنظمة الاسلامية العربية والعلوم والثقافة، اسيسكو 1433هـ -2012م ص46

8- أن لهم فكر سلبي مسبق لدخولهم عالم الاستشراق وقد أسبغوا على علوم الشرق ما أملتته أفكارهم المسبقة.<sup>1</sup>

### 4-1- رابعا: المستشرقون والسنة النبوية.

يبرز منهج المستشرقين في موضوع السيرة النبوية ، شاذًا وغريبًا وجارحًا للمشاعر الإسلامية ، لأن السيرة تمثل بالنسبة للمسلم عالم السلوك الأمثل ، والقُدوة الرفيعة، لأنها تتعلق بحياة شخصية مقدسة ، ولا يمكن فهم روايات السيرة النبوية إلا في إطار مشاعر الحب والاعجاب التي تشد المسلم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والإيمان بفكرة الرسالة ، والتسليم بكل ماجاء عن طريق الوحي الإلهي من قرآن وتعليم وتوجيه.<sup>2</sup>

والمستشرق مسيحي متعصب ، ولا يمكنه أن ينظر نظرة الحياد والموضوعية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والسيرة هي الحقل الطبيعي الذي تنطلق فيه الغرائز المكبوتة معلنة إدانتها لشخصية"محمد صلى الله عليه وسلم"وتنديدها بمواقفه الدينية،وخاطئة فيما يتعلق بفكرة الجهاد للدفاع عن الإسلام. والسيرة ليست مجرد رواية تاريخية ، وهي بالنسبة للمسلم تمثل الإسلام كسلوك وقيم وحياة، ولهذا فإن السيرة هي المصدر الأهم للفكر الإسلامي لأنها التفسير الحي للأحكام، ولهذا فإن المستشرق الذي يرفض الإسلام كدين وشريعة وفكر لا بد أن يجد في السيرة مجاله الرحب للنقد والتشويه

فالمستشرق ينطلق في دراسته للسيرة من منطلق البحث عن مسوغات واقعية لممارسة دوره في تفسير الوقائع والأحداث . وكيف يستقم البحث العلمي وتصح استنتاجات الباحث ويقع الإطمئنان إلى منهجه العلمي إذ كانت منطلقاته الأولى النفسية مهينة للإدانة متوثبة للرواية الشاذة التي يجد فيها الباحث مطيته لحكم للإدانة الذي يحيك في نفسه؟. يقول الميسيو كيمون في كتابه"ميثولوجيا الإسلام": "إن

المحمدية جثام فشا بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا، بل هو مرض مروغ وشلل عام وجنون ذهني ، يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوظفه منهما إلا ليسفك الدماء ويدمن معاقره الخمر ، ويجمع في القبائح ، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين" ويقول المونيسيور كولي في كتابه" البحث عن الدين الحق": "برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام الذي أسس على القوى وقام على أشد أنواع التعصب، ولقد وضع محمد السيف في أيدي الذين تبعوه ، وتساهل في أقدم قوانين الأخلاق" ويعتقد لوبس براون في كتاب أصدره سنة 1942م أن الخطر ليس الحروب الصليبية وحدها

1/ سعدون الساموك ص53

2 الدكتور محمد فاروق النبهان. ص51



ولكنه الاسلام نفسه وأن الخطر الحقيقي كامن في نظامه وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته ، إنه الجدار الوحيد في وجه الإستعمار الأوروبيون<sup>1</sup>

والقاعدة الأساس التي يقوم عليها منهج الاستشراق في دراسة السيرة النبوية هي قاعدة الشك والإدانة والحدز والرفض .

### 1-5-5-1- خامسا: منهج المستشرقين في دراسة والفلسفة الإسلامية :

اتجهت معظم الدراسات الاستشراقية المتعلقة والفلسفة الإسلامية الى نقد والفلسفة الإسلامية واتهام للفكر الاسلامي بالقصور بسبب القرآن الذي يمنع النظر الحر ويحد من حرية الراي والفكر ، مما أدى إلى بروز مدرسة أهل السنة محافظة متمسكة بالنصوص .

وممن تصدى للرد على آراء المستشرقين الشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه " تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية صدر سنة 1944م " ، عن لجنة التأليف والترجمة والنشر . الذي رد على آراء المستشرقين وبين بطلانها وأكد أصالة الفلسفة الإسلامية وعمقها وقدرتها على التفكير الحر .

وكتب الدكتور محمد عابد الجابري بحثا عن " الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الإسلامية طبيعتها ومكوناتها الإيديولوجية والمنهجية " . ونشر هذا البحث في كتاب مناهج المستشرقين . عارض فيها آراء كل من الشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور ابراهيم مذكور وناقش هذه الآراء من حيث أثرها في بيان أصالة الفكر الاسلامي والدفاع عنه وتأكيد احترامه لحرية الراي .

وحظيت الفلسفة الإسلامية باهتمام كبير لدى المستشرقين وتصدوا لدراستها وترجمة كتبها ، ثم توسعوا في دراساتهم ، وأخذوا يتناولون آراء علماء الكلام وعقائدهم وآراء إخوان الصفا . وكتب أوجيست موللر عن الفلسفة اليونانية في الترجمات العربية ، وليون جويته عن المدخل إلى دراية الفلسفة الإسلامية واهتم المستشرقون الإسلام بدراسة ابن رشد وابن حزم وابن عربي ، وربما تكون الدراسات الاستشراقية عن ابن سينا وابن رشد هي أكثر الدراسات وأقدمها وقد كتب الأب بلاثيوس عن الغزالي وابن رشد وابن حزم كارلوس كيروس عن ابن رشد وابن سينا والغزالي والفرايبي وكتب هيرنانديث عن فلسفة ابن سينا ومصادر ابن طفيل وعيون المسائل للفرايبي وفلسفة ابن رشد وابن حزم القرطبي وابن عربي المرسي وخصائص الفلسفة العربية وكتب جوميث نوجاليز عن نظرية الإهمال في صوفية الإشراق وخلود الروح في ضوء نظرية ابن رشد ونظرية السببية في التهافت لابن رشد ، ووحدة الروح البشرية في الفلسفة الإسلامية ، ودور الشهروردي في الميدان الفلسفي وابن رشد والقديس توما . وكتب المستشرقون

<sup>1</sup> /المرجع نفسه. ص52

الفرنسيون في الفلسفة الإسلامية منهم ماسينيون الذي كتب عن تاريخ تأليف رسائل إخوان الصفا وجوتيه الذي كتب عن مدخل إلى دراية الفلسفة الإسلامية ، والمستشرق كاراديفو الذي كتب عن الغزالي وابن سينا وحكمة الإشراق<sup>1</sup>

### 1-6-6-سادسا : المستشرقون والمجتمع العربي والإسلامي :

هناك قاعدة عامة التزم بها المستشرقون إزاء المشكلات التي يعاني منها المجتمع العربي الإسلامي وهي أنه عندما يطرح مسلم أو بعض للمسلمين مشكلة ما تهم مجتمعهم فتكون قد طرحت أو ستطرح عاجلا في أوساط المتخصصين في هذه الدراسات لحساب الإستعمار وتحت اشراف منه، فكلما يتقدم المفكر المسلم بحل لهذه المشكلة يسرع الطرف الاخر بدراسة الحل ، ويجعله غير مفيد ويقلل من شأنها وقيمتها. وقد صور المستشرقون المجتمعين العربي والإسلامي، بمجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله وعظمائه، وينظرون إلى المجتمع العربي المعاصر نظرة انتفاض ويصفونه بالجهل والعجز.

ف نجد المستشرق التركي فؤاد سيزكين يعكس هذه الآراء بقوله: " إن العرب لم يعودوا يفهمون التضامن ولا التضحية ولا احترام الوعد والوقت الذي يفهمه الغربيون. " ثم يقول عنهم: " كل شيء في غير محله، الفكر الديني ، الفكر الاجتماعي المتفنون ". ويقول: " إن مشكلة المسلمين اليوم أنهم لا يقرؤون . ويقول: " المد التاريخي لعالمنا العربي\_ الإسلامي متوقف منذ 600 عام."<sup>2</sup> من الممكن تلخيص دوافع هذه المنهجية في البحث بثلاثة امور:

الأول: التعصب الديني سواء انتج هذا التعصب عن إيمان المستشرق بالكنيسة الغربية أم واليهودية العالمين.

الثاني: اولوية التفضيل في المصالح ، حيث تتقدم مصالح بلدان والمستشرق الغربي على المصالح العلمية ، لأنه من غير المعقول أن يكون الشرق أو العرب أو الإسلام ذا أولوية في هذا المجال.

الثالث: شعورهم بالتفوق الحضاري، هذا التفوق الذي يجعلهم يشعرون بعقدة نقص تاريخية، فحين كان الغرب يغرق في ظلال الجهل و التأخر ، كان المجتمع العربي والإسلامي يعد لهم آلاف من الكتب والمخطوطات التي تعكس تطورا وحضارة تعد من أقدم وأعظم الحضارات العالمين وأكثرها قابلية على الاستمرار.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> 1/فاروق النبهان ص56-59

<sup>2</sup> سعدون الساموك ص91

<sup>3</sup> سعدون الساموك ص92

### 1-7-7-7-7 : المستشرقون والتاريخ الاسلامي:

يرى المستشرقون أن التاريخ الإسلامي سلسلة من الأكاذيب ، فهم يفسرون أحداثه وفق أهوائهم واقتراحاتهم الفاسدة أحيانا ، ويستنبطون الأحكام الكلية من حوادث جزئية ، فيكون حكمهم قائما على استقرار ناقص لا يثبت دليلا يعتمد عليه .

ولا بد من التقرير بأن العلاقة بين المستشرق والشرق كانت بصورة أساسية تأويلية فإذا وقف المستشرق الباحث أمام حضارة أو منجزة ثقافية نائية قلص الإبهام عن طريق الترجمة والتصوير المتعاطف والإدراك الداخلي للشيء الذي يصعب الوصول إليه <sup>1</sup>

فهم يلتصقون نقاط الضعف ، سواء في كتب العرب أو مجتمعهم ، والدخول إلى دراسة التراث القديم أو المعاصر من خلالها ، ويعتمد المستشرق في إعطاء صورة مشوهة عن الشرق ، وذلك ما أكده كثير من المستشرقين الذين حاولوا أن يكونوا موضوعين مع الشرق .

كما أن المستشرقين كثيرا ما يعتمدون المغالطة في المناقشات العلمية وسوء الظن والفهم وإعتمادهم أقولا باطلة ردها العلماء المسلمون بدلائل علمية .

ومن أكبر عيوب المستشرقين في فهم القرآن الكريم هو إساءاتهم في فهم عباراته وعدم اعتمادهم التفاسير المعتمدة من قبل المسلمين . وفي هذا

-وهكذا لا يعترف الاستشراق للمسلمين ودينهم ولغتهم وتراثهم بفضل بل هو يغزو تخلفهم الراهن بالتبعية ، ولا يقدح في هذا الموقف أن من المستشرقين من قال كلمة "حب" ، فهو لاء الصادقون مع أنفسهم كصوت خافت وسط عاصفة عاتية ، ثم وقد في أذهان المثقفين من الغربيين أن المسلمين أمة متخلفة قديما وحديثا ، وأنهم ليسوا أهلا لحياة حرة عزيزة وأن الغرب يبسط سلطان نفوذه عليهم ويستحوذ على الثروات التي في بلادهم ويجعل لثقافة الكلمة العليا بينهم <sup>2</sup>

<sup>1</sup> سعدون الساموك ص 93 94

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 95 100.

المبحث الثالث: مواطن الاستشراق :

الإستشراق الأوروبي :

أولا : الفاتيكان :

لا بد من التذكير بأن أهداف الدول الغربية جميعها واحدة هي استعمار الشرق أو العالم ، فالإستعمار نما وترعرع تحت ظل التقدم الصناعي والعسكري والثقافي وسعت كل دولة إلى منافسة جاراتها في التهام أكبر قدر من المساحات المستعمرة وتوظيفها لأغراضها السياسية والاقتصادية وكان علي ان أذكر دولة الفاتيكان من بين الدول التي نما فيها الاستشراق وعطور ، فالفاتيكان في الوقت الحاضر دولة دينية صغيرة الحجم جيشها هم " القسس " و " الكنائس " التي تمتثل لأوامرها ، إلا أنها كانت تقود دول أوروبا سياسيا وعسكريا ودينيا قبل الثورة الإصلاحية ومنذ الحرب الصليبية إلى يومنا الحاضر ، يسعى كل بابا في الفاتيكان إلى دراسة الإسلام وطبيعة العرب وتراثهم ، وكان قمة ذلك الاهتمام تأسيس البابا غريغوريوس الثالث عشر، الكلية المارونية في روما في عام 1754م والتي لاتزال قائمة حتى اليوم وتخرج فيها على مدى قرنين من الزمن نخبة من المتخصصين باللغات الشرقية انتشروا في حواضر البلدان الأوروبية<sup>1</sup>.

ولذلك الاهتمام أسباب منها :

عندما كانت البابوية سلطة سياسية قوية تحكم أوروبا قبل الثورة الإصلاحية ، كانت هناك مخاطر المسلمين من العرب أو الأتراك تحيط بأوروبا . وكثيرا ما دكت جيوش المسلمين أسوار فرنسا وروما ولذلك فقد كان خوف البابا منهم كبيرا مما دعاه إلى إرسال رسله للتعرف على هؤلاء الناس ودينهم ليستطيع العمل معهم من خلال تعرفه إليهم<sup>2</sup>.

● وعندما انحسرت البابوية في حي صغير يدعى " الفاتيكان " اتجهت إلى التبشير المسيحي أولا وضمان كيان معنوي لها بين دول العالم فراحت تسعى إلى الدعوة للسلام وإلى إقامة المؤتمرات العالمية للتفاهم البشري .

فتأسست جمعية التقدم الدولية برعايتها ، وأخذت تعقد هذه الجمعية مؤتمرات عالمية للتقريب مابين الفكر المسيحي والفكر الإسلامي ، إلا أن عشرات الجمعيات الأخرى التي يرعاها الفاتيكان في أمريكا وأوروبا تسعى إلى التقريب مابين الفكر اليهودي والفكر المسيحي .

<sup>1</sup> سعدون الساموك ص103

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص104

إن " البابوية " تقود العالم المسيحي من الناحية الدينية ، لذلك فهي لا تزال تشجع بل وتقود الحملات التبشيرية في كل العالم وكثير من المبشرين المستشرقين الذين لا تزال تمتلئ بهم الجامعات الغربية في مصر ولبنان – ومنها على سبيل المثال جامعة القديس يوسف الفرنسية في بيروت والجامعة الأمريكية في القاهرة وفي بيروت – من مبشري ومستشرفي الكنائس التابعة للفاثيكان يجدون دعما ماديا من مختلف الدوائر الغربية المشبوهة<sup>1</sup>.

### ثانيا : هولندا :

لم يكن لهولندا دور استعماري مباشر في الأقطار العربية إلا أن أثرها في الخليج العربي قد حل محل الاستعمار البرتغالي عندما بدأ الأخير يتحسر ، وكانت هولندا منشغلة بجنوب آسيا . وعلى الرغم من ذلك فقد كان لها دور استشراقي مميز ، وعلاقتها بالاستشراق قديمة جدا ، ولعل جامعة " لايدن " من أشهر الجامعات التي اهتمت بهذه الدراسات وقد خدمت هذه المدينة الفكر الاستشراقي في كل أوروبا ، ولجامعتها مطبعة شهيرة أسسها المستشرق توماس أربينوس ( المتوفي سنة 1624 للميلاد) الذي تدين له الدراسات الاستشراقية في هولندا بالفضل الكبير . ثم أشرف المستشرق بريل سنة 1812 م عليها . وبكلا الإسمين اشتهرت هذه المدينة .

ظهرت في هولندا كتب كثيرة للقواعد العربية ومعجمات عربية – لاتينية وحقت فيها كثير من المخطوطات . واشتهر من بين مستشرفيها كثيرون منهم رينهارت دوزي (1820-1883) الذي ألف المنشور في لايدن سنة 1881 ( تكلمة المعاجم العربية )<sup>2</sup>.

واشتهر فيها فنسك (1881-1939) واضع ( المعجم المفهرس للحديث ) ولا تزال الدراسات الاستشراقية الهولندية بحالة جيدة وإن لم تعد ترقى إلى مستواها الأول ولكن اهتماماتها الحالية منصبة على التراث والفلسفة . كما أن لهولندا في القاهرة معهدا للآثار والدراسات العربية. وقد اتجه الاستشراق الهولندي لخدمة أغراض الإستعمار حيث كان المستشرقون يعنون بمختلف الأمور التي تخدم تلك الأغراض سواء أكانت سياسية أم دينية لذلك فقد نشرت كثيرا من البحوث الطائفية وما يختص بالفرق الإسلامية والمقارنات ما بين المسيحية والإسلام أو عن أحوال اليهود في الشرق العربي قديما وحديثا .

ويمكن القول بأن تلك الدراسات سواء العقائدية منها أم دراسات الطوائف فضلا عن الدراسات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة ساعدت على تعريف الدوائر المعنية في هولندا وأقطار أوروبا الأخرى بالواقع العربي ليسهل النفاذ إليه والتأثير عليه ولكن دور هولندا السياسي قد انحسر قبل وبعد الحرب العالمية الثانية فأثر ذلك الانحسار على الوضع الاستشراقي فيها قلم يعد هناك ما ينشر عن المنطقة

<sup>1</sup> سعدون الساموك ص104

<sup>2</sup> مرجع نفسه ص105

العربية أو التراث العربي إلا لمأما لكن بعض البحوث التي تختص بمناطق النفوذ الهولندي في جنوب آسيا لا تزال تظهر إلى الآن وتتعلق بمناطق جاوة و سومطرة وأقطار جنوب آسيا .

### ثالثا : بريطانيا:

وقد بدأت فيها الدراسات الاستشراقية منذ وقت مبكر حيث أن عددا كبيرا من علماء القرون الوسطى انكبوا على دراسة اللغة العربية وآدابها ، ومنهم " إدوارد أوف باث" الذي ترجم أعمال الفلاسفة اليونانيين من العربية إلى اللاتينية ، وقد أسس أول كرسي للدراسات العربية

في جامعة كمبردج عام 1623م وأول كرسي للدراسات العربية في جامعة أكسفورد سنة 1626م تتميز الدراسات الاستشراقية الأولى بحقدها وعدم علميتها ، فقد كانت تهتم بالتبشير بالدرجة الأولى لذلك أساءت إلى تاريخ العرب والمسلمين وحضاراتهم وجعلتهم أمام الرأي العام البريطاني همجا ووحوشا وسارقي حضارات ، وكانت أطماع بريطانيا تزداد في الشرق العربي ، فكلما حققت شيئا من أطماعها ازداد ازديادها بالتراث العربي الإسلامي ، حتى أن الإستشراق فيها يعد أداة كبيرة للاستعمار ، ساعد في نشر الفكرة بين العرب وذلك بتركيزه على نشر الدراسات الطائفية والتحدث عن أفضال اليهود على تراث العرب . وكان المستشرقون الإنجليز يعملون في كل القطاعات التي تقدم خدمة للاستعمار البريطاني ، فقد أدت شركة الهند الشرقية البريطانية دورا كبيرا في استثمار المستشرقين الذين كانوا يقدمون لها البحوث الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عن المنطقة العربية . فكان كلود لويس جيمس claud Louis James المستشرق الإنجليزي ممثلا لتلك الشركة وقيما في بغداد، وكان المستشرق برشارد Barchard قنصلا بريطانيا في تونس ، كما قام المستشرق بالمر الذي أرسلته جمعية استكشاف فلسطين بدراسة عن صحراء سيناء وفلسطين ، وقد أدى بالمر تلك المهمة مما أرضى اليهود الذين أناطوا إتمامها إليه . ولعل تلك الدراسة كانت تمهيدا لقيام دولة يهودية غي فلسطين . وقد استغل الإنجليز هذا المستشرق في عام 1882 عندما أوفدوه إلى مصر أثناء الثورة العربية ليقوم بتأليب البدو المقيمين في سيناء على مصر برشوتهم بالجنيهات الذهبية مما جعل بعضهم يطمع به فقتلوه ، وكان المستشرق إدوارد بوكوك Edward pocock أستاذا لامعا في اللغة العربية في جامعة أكسفورد بعد أن خدم فترة لا بأس بها قسيسا مقيما مع التجار البريطانيين الموجودين في مدينة حلب سوريا . وكان ازدياد المستشرقين الإنجليز بتشكيكهم بأصالة التراث العربي ، فهذا "جب" أشهر المستشرقين المعاصرين يقول : " أن النثر الفني العربي فارسي الأصل . ويشيد جب بالثقافة اليونانية ويحاول أن يغزو لها إليها كل ما في الأدب العربي من تقدم ويرد إلى

الثقافات الفارسية واليونانية كل أمور النحو والبلاغة علما بأن هذه الفنون قد تم البحث فيها قبل الاتصال بالفكر اليوناني وقبل عصر النهضة<sup>1</sup>

أما الفلسفة العربية فإن " جب " يعدها فلسفة يونانية المصدر ويقول : " إن الذين رفعوا لواء الفكر والفن في العصر العباسي هم من أصل أعجمي أو نصف أعجمي. ناسيا أن القرآن الكريم هو الذي شكل عقليات المسلمين جميعا ، من العرب والترک والفرس "

وإذا انتقلنا إلى الدراسات الدينية ، نجد أن المستشرقين الإنجليز قد ركزوا بشكل مكثف على الإساءة إلى شخص النبي صلى الله عليه وسلم وكنا قد مررنا بأسماء الأب بريد و الأب أوكلي وغيرهما إلا أن كثيرا من الدراسات قد تناولت مسائل أخرى ، كان الغرض منها النفاذ إلى النفس العربية والأرض العربية فتناولوا الفرق والطوائف والخلافة والآراء الفقهية التي تتصارع حول ذلك فكانت دراساتهم تلك وصفا حقيقيا لسياستهم المتمثلة (فرق تسد) فقد أثارت آراؤهم فضلا عن التنسيق المنظم بينهم وبين الفرنسيين ضجة في صفوف المثقفين العرب كان لها تأثيرها الكبير على الفرد العربي ، وليس الاستطرداد في هذا الموضوع أمرا مهما ، فقد خبرنا بريطانيا واستعمارها ، وما الاستشراق إلا أداة من أدوات نفاذها إلينا دون أدنى شك . فمن المعلوم أن الفترة الواقعة بين مطلع هذا القرن وحملة السويس سنة 1956م شهدت تزايدا في تورط بريطانيا في البلاد العربية بسبب مصالحها الإقتصادية والسياسية والاستراتيجية في شرق البحر الأبيض المتوسط والمناطق الغنية بالنفط ، فمن نتائج ذلك التورط زيادة اهتمام الأوساط الحكومية والأكاديمية بدراسة اللغة العربية ، وعلى ذلك مثلان هما تأسيس " كلية الدراسات الشرقية والإفريقية " في جامعة لندن 1917م وتأسيس " مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية " على يد الحكومة البريطانية في القدس أثناء الحرب العالمية الثانية والموجودة حاليا في شمالان في لبنان ، وتدفع الكويت مبالغ طائلة لجامعة درهم بانجلترا وذلك لتشجيع الدراسات الجامعية في ميدان الحضارة العربية والدين الإسلامي .<sup>2</sup>

وإذا كانت لغة العربية أهمية خاصة عند الحكومة البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية فلا تزال هذه الأهمية تتزايد بصورة مستعمرة حتى أصبحت اللغة العربية في المرتبة الخامسة بين اللغات الأجنبية ذات الأهمية الخاصة لبريطانيا نظرا لوضعها التجاري والسياسي والاستراتيجي ؛ أي أن اللغة العربية تأتي مباشرة بعد اللغات الفرنسية والألمانية والإسبانية والروسية ، لذلك ترى وزارة الخارجية البريطانية ضرورة إبقاء عدد من الموظفين الدبلوماسيين ممن يتقنون اللغة العربية لا يقل عن 200 موظفا كما تبقى

<sup>1</sup> سعدون الساموك ص107

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص108

في بلاد عربية مركزا خاصا بتدريس اللغة العربية ، ولا بد من التقرير بأن دور بريطانيا الظاهري قد انحسر في الفترة الأخيرة على الصعيد الاستعماري رغم دورها الجديد في العراق .

إلا أن الدراسات الاستثنائية في جامعة بريطانيا لا تزال متطورة ، فجامعة لندن تهتم باللغة الغربية الحديثة فضلا عن الأدب العربي الحديث والتاريخ المعاصر ، والأستاذ الذي يعين فيها لا بد أن يكون متخصصا باللغات العربية وخاصة لهجة الخليج أما جامعة كمبردج فلها علاقات بالجزيرة العربية في الوقت الحاضر وتهتم بدراساتها بصورة خاصة بمنطقة اليمن وحضر موت وشمال إفريقيا والشؤون السياسية في العراق ، وقد قامت بتنفيذ مشروع لهجة المصرية الدارجة بمعاونة مؤسسة "فورد" ، وجامعة أوكسفورد تهتم بالدراسات العربية المعاصرة والسياسية العربية الحديثة وتاريخ سوريا الحديث وأصول القومية العربية في المنطقة العربية بشكل بارز ، أما جامعة درهم فتهتم بشؤون إفريقيا والسودان بصورة خاصة .

وتقوم الجامعات البريطانية ببعض النشاطات المعاصرة ، ففي سنة 1972 م أقامت في مركز الشرق الأوسط بجامعة أوكسفورد سلسلة من الندوات العلمية عالجت حياة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وإنجازاته ، كما أجرت بحوثا لإمكانات تصنيع الإقتصاد المصري<sup>1</sup>

واشتركت الجامعة المذكورة مع بعض الجامعات البريطانية لإنجاز مشروع يرمي إلى تأليف فهرس يشمل كل ما صدر من مقالات في المجالات العربية الدورية في لفترة ما بعد سنة 1880 م ، وفي جامعة درهن جرت بحوث علمية وعملية في عمان الميدانيين الاجتماعي والجغرافي بتكليف من حاكم عمان .

ولا تزال الدراسات الاستثنائية في بريطانيا تنظر إلى المصالح البريطانية المختلفة وتخدمها . فلقد وجدت بريطانيا وغيرها من البلدان المعنية أن انعدام الناس الذين يتقنون اللغة العربية الدارجة يشكل خطرا كبيرا على مصالحها ، وقد أدركت المحافل الحكومية والأكاديمية ضرورة التركيز على اللهجات الدارجة ، لذلك خصصت الحكومات المتتالية مبلغ طائلة لتمويل برامج إيفاد طلاب وأساتذة إلى البلاد العربية ، وساعدت بعض الجامعات والمراكز العلمية على تحضير مناهج تعليمية ناجحة لتدريس اللهجات والمحلية ، ويوجد عدد كبير من الباحثين والطلاب الإنجليز في البلاد العربية لتعلم اللغة العربية وإتقان اللهجات المحلية والتعرف على عادات وتقاليد العرب المختلفة وكذلك لإيجاد صلات مع العلماء العرب المنشغلين بميدان الدراسات واللغوية العربية وفي سنة 1969م انعقد في جامعة كمبردج اجتماع برئاسة السيد وليم لوس ، حوى عددا كبيرا من الخبراء البريطانيين في ميدان الدراسات العربية ، ونتج عن ذلك المؤتمر تأسيس لجنة خاصة بدراسة مشروع إقامة معهد جامعي موحد لتدريس اللغة العربية لكل الراغبين في دراسة المواضيع التي لا بد منها لإتقان اللغة العربية ، ويوجد الآن مالا يقل عن

<sup>1</sup> سعدون الساموك ص109



اثني عشر مركزا جامعيا يمكن للطلاب أن يدرس فيها اللغة العربية في بريطانيا ، ويتراوح عدد الدارسين للغة العربية هناك بين (200-300) طالب.<sup>1</sup>

رابعاً : فرنسا :

يعود الاهتمام باللغة العربية فيها إلى أواسط القرن الثالث عشر ميلادي إذ أخذت تهتم باللغات الشرقية ثم ازداد هذا الإهتمام في القرن السادس عشر عندما نشأت " الكلية الملكية

" لتدريس اللغات الأجنبية وفي القرن السابع عشر نشطت الدراسات الشرقية فيها لأسباب دينية وسياسية وسنأتي على ذلك .

وقد تركزت الدراسات على الأبحاث التي تدرس الطائفية كالشيعة والدروز والنصيرية –التي أتت أكلها في الوقت الحاضر – فضلا عن دراسات يهودية ومسيحية تهدف معظمها إلى الإساءة إلى المجتمع العربي والتاريخ العربي، ، وكانت أبرز الدراسات فيها تلك التي تبحث في تاريخ البربر في شمال أفريقيا في الوقت نفسه الذي كان فيه الفرنسيون يحتلون شمال إفريقيا وسوريا ولبنان ولذلك فقد كانت هذه الدراسات تمس صلب شعب هذه الأقطار فترى مستشرقاً كبيراً مثل هنري لاورست الأستاذ في (كولج دي فانس ) وتلميذ المستشرق المعروف " ماسينيون" . قد تختص بدراسة مذهب ابن حنبل وكان قد أعد أطروحته في البدء عن ابن تيمية ثم صعد في مجرى التاريخ حتى وصل إلى ابن حنبل نفسه وتلامذته الأولين ثم تتبع التاريخ مجدداً لكامل الحركة الحنبلية التي أدت إلى الحركة الإصلاحية في القرن التاسع عشر وإلى حركة الإخوان المسلمين وأنت هذه الدراسات أكلها في الوقت الحاضر أيضاً .

ونجد المستشرق كوربان الأستاذ في معهد الدراسات العليا التطبيقية ، يهتم بالقضايا الفارسية وتياراتها على العرب فأسهم في التعريف بالفكر الشعبي على هذا الأساس وذلك بنشره نصوصاً ودراسات عنه.<sup>2</sup>

فرنسا انفردت مبكراً من بين سائر الدول الأوروبية بتعدي الإستشراق لحدودها وامتداد الإستشراق الفرنسي إلى البلدان العربية مشرقية ومغربية وخاصة في الجزائر وتونس والقاهرة ودمشق وبيروت. وفرنسا لم تكن كغيرها من بلدان الغرب المستعمرة ، فهي كانت تريد أن تمسح أهم الآثار التي تربط الشعب نفسه بالتراث ، فقد عملت على فرنسة اللغة .

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص110  
<sup>2</sup> سعدون الساموك ص 111

ويمكن إجمال ماعمله الفرنسيون في المجال الثقافي بما يلي :

أ- نشر الثقافة الفرنسية في الأقطار العربية التي سيطروا عليها ، وتجريد السكان العرب من صلاتهم بالتراث

ب-نقل التراث العربي إلى فرنسا ونشر ما يتفق منه وأغراض الاستعمار الفرنسي بالتركيز على الإساءة إلى الحضارة العربية .

**خامسا: ألمانيا:**

لم تكن لألمانيا مصالح استعمارية مباشرة في الوطن العربي ، ولكن كانت لها تطلعات استعمارية فيما مضى ، فقد كانت هناك حملات ألمانية في إفريقيا ، بيد أن الاستشراق الألماني قد ساعد في خدمة الأغراض العربية ، التي كانت معظم دول أوروبا تسعى إليها.

الفصل الثاني :

✓ الإستشراق المعرفة – السلطة – الإنشاء

✓ بطاقة فنية للكتاب

✓ نشأة إدوارد

✓ ملخص الكتاب

الفصل الثاني : الاستشراق (المعرفة -السلطة-الإنشاء)

المبحث الأول : بطاقة فنية للكتاب

الدراسة الظاهرية :

الإسم الكامل : إدوارد سعيد

عنوان الكتاب : الإستشراق ، المعرفة ،السلطة ،الإنشاء

عدد الصفحات : 366 صفحة

حجم الكتاب : ( 23،7 سم / 1،7 سم )

السك : متوسط

دار ومكان النشر : مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م.ص.ب: 5057- 13 شوران بيروت 2010-

1102 لبنان

تاريخ النشر : 1981

الطبعة : العربية الأولى

الوصف الخارجي للكتاب :

تصميم الغلاف : سمر الدملوجي

صورة الغلاف : رسم بعنوان " بيت الأمير ، باب الحريم الخاص بالقرن السابع عشر عن كتاب الفن العربي مستوحى من معالم القاهرة بين القرن السابع والقرن الثامن عشر للفرنسي " بريز دافن " الجهة الأمامية للكتاب : لون أخضر وبداخله صورة لباب الحريم الختث بالقرن السابع عشر الجهة الخلفية للكتاب : تتضمن جزء من ( مقدمة إدوارد سعيد في مساحة اللون الأخضر

الدراسة الباطنية : يحتوي هذا الكتاب في مضمونه على ثلاث فصول تمثلت في : الفصل الأول : مجال الإستشراق ص61

...الروح القلقة الطموحة للأوروبيين ... نافدي الصبر لاستخدام الأدوات الجديدة لقوتهم

جان باتيسيت – جوزيف فورييه

1- التعرف على الشرق ص 63-79

2- الجغرافيا التخيلية وتمثيلاتهما : شرقنة الشرق ص 80-100

3- مشاريع ص 100-117

4- أزما ت ص 117-133

الفصل الثاني : البنى الاستشراقية وإعادة خلق البنى ص 135

1- حدود أعيد رسمها ، قضايا أعيد تحديدها والدين المعلمن ص 137-145

2- سلفست دوساسي وورنيست رينان : علم الإنسام العقلاني والمختبر فقه اللغوي ص 146-166

3- الإقامة في الشرق والبحث متطلبات المعجمية والخيال ص 166-182

5- الحج والحجاج ، بريطانيين وفرنسيين ص 182-209

6- الفصل الثالث الإستشراق الآن ص 211

1- الإستشراق الكامن والظاهر ص 213-234

7- 2- الأسلوب ، المعرفة الخابرة والرؤيا ، دنيوية الإستشراق ص 234-258

8- 3- الإستشراق الأنجلو – فرنسي الحديث في نروة الإزدهار ص 259-284: 4- المرحلة

الأخيرة 285-325

إشارات ص 327-333.

مرجعيات الكتاب :

شكري عياد، كتاب ارسطو طاليس ، فن الشعر ، دار الكتاب العربي ( القاهرة ، 1967) ص 117

George Eliot , Middlemarch : a study of provincial life (1872 ;reprinted  
.,Boston : Houghton , Mifflin co ., 1956) p164

Gaston Bachelard , the poetics of espace , trans .Maria Jolas (New

York : orion presse 1964.)

Victor Hugo ,œuvres poétique, de.pierre Albouy « pari : Gallimard  
1954.1 : 580)

### المبحث الثاني:

#### 1-نشأة إدوارد سعيد وحياته الأسرية والعلمية ومؤلفاته:

##### 1-1- مولده واسمه ونسبه:

-ولد إدوارد سعيد في الأول من تشرين الثاني نوفمبر من عام 1935، وكانت ولادته على يد قابلة يهودية في القدس تحدث إدوارد متعجبا من إسم (سعيد) الذي ينتسب إليه، والذي يكثر في أبناء عمومته، مع أنه لم يكن أحد من أجداده يحمل هذا الإسم، ولا يعرف من أين أتى؟ فاسمه الحقيقي. "إدوارد وديع إبراهيم"، وأصل حمولته من عائلة (الخليفاوية) من الناصرة. عاش في عالم من التناقضات، فأسرته العربية توهم نفسها بأنها أمريكية الجنسية والولاء، وهي في حقيقة أصولها عربية فلسطينية، حتى إن اسمه مكون من تناقض سبب له حرجا كبيرا، "إدوارد" الإنجليزي و"سعيد" العربي اجتمعا في شخص واحد ليجعلا منه شخصا مترددا خجولا في غير مكانه دائما، يقول عن نفسه: « هكذا كان يلزمني قرابة خمسين سنة لكي أعتاد على (إدوارد) وأخفف من الحرج الذي يسببه لي هذا اسم الإنجليزي الأخرق الذي وضع كالنير على عاتق (سعيد) إسم العائلة العربي القح ... وخلال سنوات من محاولاتي المزوجة بين إسمي الإنجليزي المفخم وشريكه العربي، كنت أتجاوز «إدوارد» تبعا للظروف، وأحيانا أفعل العكس، أو كنت أعمد إلى رفض الإسمين معا بسرعة فائقة بحيث يختلط الأمر

على السامع، والأمر الوحيد الذي لم أكن أطيعه، مع إضطراري إلى تحمله، هو ردود الفعل المتشككة والمدمرة التي كنت أتلقها: إدوارد؟ سعيد؟ عائلته العربية حاولت جاهدة إيهام نفسها بأنها عائلة عربية، يقول عن ذلك: « كل ذلك أبرز النوعية الإصطناعية لماهيتنا أسرة تصر على إفتعال تصوير نفسها بأنها جماعة أوروبية صغيرة، على الرغم من بيئتها المصرية والعربية، إضطراب وحيرة وقلق يسببه هذا الإزعاج الثقافي الذي يرمز له اسمه. ينتسب إدوارد سعيد الى عائلة نصرانية، مكونة من سبعة أشخاص: ابويه وأربع شقيقات وهن "روزماري" و"جين" و"جويس" و"غريس" وأمه "هيلدا" (1913-1990م) يشكك الكاتب اليهودي امريكي "جستس رايد فاينزل" في صحة نشأة إدوارد سعيد في فلسطين، ورد عدد من الكتاب، وكان من أبرزهم الكاتب البريطاني (كريستوفر هينشونز)، وبين زيف هذا الإدعاء وأهداف الهجوم على إدوارد سعيد. ولدت أمه "هيلدا" في فلسطين، وتندرج من عائلة لبنانية متدينة، فكان أبوها "يوسف بدر" أول قسيس إنجيلي مقيم في لبنان<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الإستشراق عند إدوارد سعيد، رؤية إسلامية، د:تركي بن خالد الظفيري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث المملكة العربية السعودية، جدة، 2010م ص 16

علاقة إدوارد بأمه علاقة عاطفية تحيط بها المحبة من كل جوانبها. ويقول عن هذا الترابط: المؤكد أن أمي كانت الرفيق الأقرب إلي والأكثر حميمية خلال ربع قرن من حياتي، وبالضبط كانت علاقته بوالده "وديع" (ت:1971م) والذي غير إسمه إلى "وليام". بعد تسلمه بالجنسية الأمريكية. كما وصفه إدوارد في عام 1920م عامله والده معاملة قاسية في طفولته وكبره. مما جرأ على وصف والده بالوقاحة تارة وبالكذب تارة أخرى، كان أبوه قاسيا جدا معه ومنشغلا عنه. مرت طفولة إدوارد ومرافقته بمشكلات نفسية، فالتعامل القاسي من والده وتدخله في كل شئ. حتى قوام جسمه جعله كئيبا و عديم الشخصية وفاقدا للإرادة، فقد عانى كثيرا من سوء تربية والده وتدخله في تفاصيل حياته. وفي كلام إدوارد عن والده ما يوضح لنا العقلية النقدية والأسلوب النقدي للإدوارد، فقد إنتقد والده بألفاظ جارحة. أذكرها هنا لتوضيح أنه ينتقد أقرب الناس إليه بطريقة قاسية يقول عن معاناته تلك "على أن أطول عملية إصلاح وأكثرها إخفاقا كانت تلك تتعلق بقامتي، وقد اضحت هوس أبي و موضوعته الأثير على عند بلوغي المراهقة وفي حزيران يونيو 1957م، عندما تخرجت من جامعة (برنيستون)، بلغ الأمر ذروته عندما أصر أبي على أخذني إلى صانع حمالات ومشدات في (نيويورك) يشتري لي نيرا ارتديه تحت قميصي. وأكثر ما أحبطني في تلك التجربة هو أنني، وقد بلغت الحادية والعشرين لم أعترض على كون أبي قد خول نفسه يحزمني مثل طفل شقي ترمز قامته الملتوية الى ماهية ذميمة تستحق عقابا أليما"<sup>1</sup>

تحدث عن حبه لعائلته وسخاء والده وإنفاقه على دراسته، ومع كل هذا لم يغفر له تدخل والده في جسده: "ولكنني لن أستطيع أن أغفر له، ان ذلك التنازع على جسدي، وفرضه إصلاح والعقوبات الجسدانية عليه، رسخا لدى شعورا عميقا بالخوف العميم الذي قضيت معظم حياتي أحاول التغلب عليه، وما أزال أفكر أحيانا أنني جبان، تتوعدني كارثة جبارة ضامرة تتحفز للإ نقضاض وهذا الشعور السلبي المتمثل في حديثه عن نفسه فمما قال: - "فأستنتج من ذلك أنني لا أتمتع بالقوة المعنوية اللازمة لبذل قصاري جهدي. كنت ضعيفا بكل ما تعنيه الكلمة" - "لا أزال إلى الآن أجد صعوبة لا تطاق في أن أشاهد ذاتي على شاشة التلفزة بل حتى أن أقرأ ما يكتب عني" كما تجسد في ذلك المشهد المسرحي بامتياز: مثل شرح طاقة تدميرة عظيمة، الى بنية "الهشة والمتخلجة أصلا" هذا الشعور الكئيب أصابه برعشة غير إرادية إذا هم أن يبول، وبعد عرضه على أخصائي طب الأطفال قال: "لعلها ذات أصل نفساني"، أي عنده مشاكل نفسية سببت له هذه الرعشة. استطاع إدوارد أن يقاوم الآثار النفسية التي لحقت به بسبب الأبوي إلي أن يكون صاحب مشروع فكري وسياسي. ولم يستسلم لنداءات النفس الضعيفة بل انتصر عليها، وأنشأ مقعدة بين كبار المفكرين

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص 17



### 1-2- التربية الدينية:

عاش إدوارد في كنف أسرة تدرج من عائلات نصرانية متدينة، فجدّه من أمه أول قسيس بروتستانتي إنجيلي مقيم في لبنان، وقد أرسل ابنته (هيلدا) أم إدوارد إلى مدرستين للتعلّم فيهما. عائلة إدوارد كانت فاعلة في الوسط النصراني، فوالده هو رئيس الفخري لجمعية الشبان المسيحيين، وهذه العلاقات والأصول الدينية للعائلة أثرت في تربيتهم لأولادهم، يقول إدوارد "كان يوم الأحد يعني لنا (مدرسة الأحد) تلك المحنة العبتية الواقعة بين التاسعة والعاشر صباحا في إعدادية الجزيرة، يليها القداس الصباحي غي "كا تدرائية" جميع القديسين أما في أماستي الأحد فكانت تجدنا في كنيسة الإرسالية الأمريكية في الأزكية، ننلو كل أحدين أو ثلاثة أحاد صلاة المساء في الكاتدرائية ذاتها. ويذكر إدوارد قصة سؤله لأنه عن الحمل والولادة، فكانت تعتمد الجواب نفسه دائما: "كتبنا رسالة إلى (يسوع) فبعث إلينا بطفل". إذن توجيهات دينية حتى في أدق التفاصيل. 1) 1) ومن الأشخاص الذين أثروا في تربية الدينية عمته (نبيهة)، ويصفها بأنها عرابته فهي التي فتحت له آفاق الحرص على حقوق الفلسطينيين يقول عنها: «ونشأت بيني وبين عمتي علاقة مميزة، وهي أيضا عرابتي. و تظهر في التعبير عن العاطفة المتبادلة على نحو يكاد محرجا... بفضل عمتي نبيهة اختبرت فلسطين أول الأمر تاريخيا وقضية من خلال الغضب والإستنكار اللذين أثارهما في عذاب اللاجئين. وكانت تعالج المرضى الفلسطينيين في بيتها، وصرح إدوارد بدعم الكنيسة لها.

يملك إدوارد عقلا ناقدا لما يمر من الأحداث. فيعبر عن نفرتة من الكنيسة لعدايتها القائمة العصبية على الفهم. كما يعبر وينتقد أخواله المتدينين. لأنهم يحملون فكرا تصادمية عن الإسلام ثم يذكر شهادة هامة جدا حول علاقة البروتستانت بأمریکا، وكذلك موقفه مت الإسلام. فيقول: وقد ظل آل بدر. أخواله وأبناء فروعهم البروتستانتيون في فلسطين، تابعين للإرسالية البروتستانية الأمريكية في لبنان. ويتبنون -أيضا- تفسيراً صدامياً، بل عدوانياً. لمعنى أن يكون المرء مسيحياً في الديار الإسلامية. إن نشأة الدينية المحافظة التي تربى عليها إدوارد لم تؤثر في إدوارد المفكر، فأصبحت علاقته مع الأديان علاقة متوترة، مع أنه يدافع عن الإسلام من جهة أنه دين تعرض للظلم والتشويه 1) تعليمه: كان والد إدوارد حاصلاً على الجنسية الأمريكية، وهذا ما أعطاه مميزات لم تكن لغيره في ذلك الوقت، وكان مهتماً ببناء أسرة أمريكية الولاء رغم أصولها العربية. إذا حرص والده على تعليمه في المدارس الأجنبية، وسأثير. باختصار إلى المدارس التي درس فيها إدوارد، وهي على الترتيب الآتي:

إعدادية الجزيرة: بدأت دارسته 1941م في إعدادية الجزيرة، التابعة للمجلس البريطاني، والتي تقع

في حي الزمالك ،ويبيدي إدوارد متعاضه وكرهه للإنجليز وغربته بينهم ،ويؤرخ إدوارد بأن هذه المدرسة هي أول إتصال بينه وبين الإنجليز يقول:وقد منحتني إعدادية الجزيرة إختياري الأول لنظام محكم أنشأه البريطانيون كولونياالية.ولم تكن المدرسة مثيرة بما هي مكان للعلم ،ولكنها زودتني بأول اتصال مديد مع السلطة الكولونياالية من خلال الإنجليزية القحة لأساتذتها والعديد من التلامذة<sup>1</sup> ولم تكن لي علاقات متصلة بأولاد الإنجليز خارج المدرسة،ذلك أن جبل سرية سريرا كان يجمعهم ويخفيهم في عالم آخر مغلق على،فأدركت تمام الإدراك كيف أن أسماهم صحيحة تماما ،وملابسهم ولكناتهم ومعاشراتهم مختلفة كليا عن ملابسهم ولكنتي ومعاشرتي ،ولا أذكر أنني سمعت أيا منهم يشير مرة الى الوطن غير أنني ربطت فكرة الوطن بهم. وإذا الوطن بمعناه العميق هو ما أنا مستبعد عنه،وعلى الرغم من أنني لم أكن أحب الإنجليز أساتذة أو نماذج أخلاقية. وقد تعرض لمواجهة كولونياالية قاسية في نادي الجزيرة من والد أحد زملائه في المدرسة ،عندما نهره وقال له:"ياولد ،غادر المكان فقط وغادر بسرعة ،ممنوع على العرب ارتياد هذا المكان ،وأنت عربي"كان غربيا في بيئته حاول والده أن يقنعه بها ،ولكن لم تتقبل البيئة طفولته (1) مدرسة القاهرة للأطفال الأمريكيين: ثم درس القاهرة للأطفال الأمريكيين عام 1947،والتي تقع في حي المعادي وقد تأسست بعد الحرب العالمية الثانية ،لاستيعاب أبناء موظفي شركات النفط ورجال الأعمال والسلك الدبلوماسي الأمريكيين لذا انضم إدوارد للمدرسة بصفته ابن رجل أعمال أمريكي،وهو لا يملك أدنى شعور بالإنتماء إلى أمريكا.<sup>2</sup>

1وجاءت اللحظة الأكثرا إذلالا في عامه اول بعد توبيخ إحدى معلماته له ووصفه بأنه أسوأ من شاهدت في حياتنا ،يصف إدوارد شعوره في هذه اللحظات تخيلتهم يتساءلون :إنه مجرد صبي عربي مسكين ،فما الذي جاء به الى مدرسة اطفال الأمريكيين ؟ ومن أين جاء . ويقتنص إدوارد الفرص ليصف كرهه للإنجليز والأمريكان ،وسوء تعاملهم مع العرب ،وإن تسلحوا بالجنسية الأمريكية . مدرسة "سان جورج": وإلتحق في المدرسة سان جورج في القدس عام 1947،بعد أن سافر مع عائلته الى القدس ،وقد فاتته عدة شهور من المدرسة الأمريكية ،ويصف سعادته الغامرة في هذه المدرسة ،وتوافقه النفسي مع طلابها : "وإذا وجدت نفسي المرة الأولى والأخيرة في حياتي الدراسية بين صبيان يشبهونني ،فكر فرد من أفراد صفي تقريبا تعرفه أسرتي

<sup>1</sup> /نفس المرجع ص 24,23

<sup>2</sup> /نفس المرجع ص 25,

### • -مدرسة فكتوريا كولج:

وفي عام 1949 دخل المدرسة البريطانية "فكتوريا كولج" وكان في الرابعة عشرة من عمره، وشكلت هذه المدرسة نقطة تحول في تاريخية، علم يقينا حينها أنه دوني في نظر القوة الكولونيالية. يقول إدوارد « اتسمت حياتنا في فكتوريا كولج بتشوه كبير لم أدركه حينها، كانت النظرة السائدة إلى التلامذة أنهم أعضاء تمموا دفع اشتراكاتهم، في نخبة كولونيالية مزعومة يجري تعليمها فنونا إمبريالية بريطانية قضت بنحبها، مع أننا لم نكن ندرك ذلك تماما علمونا عن حياة إنجلترا وأدبها، وعن النظام الملكي والبرلمان، عن الهند وإفريقيا وعن عادات واصطلاحات لن نستطيع استخدامها في مصر أو في أي مكان آخر. ولما كان الإنتماء العربي وتكلم اللغة العربية يعدان بمثابة جنحة يعاقب عليها القانون في فكتوريا كولج، فلا عجب ألا نتلقى أبدا التعليم المناسب عن لغتنا، وتاريخنا وثقافتنا، وجغرافية بلادنا.... ولقد طرد إدوارد من هذه المدرسة بسبب تعاونه مع الطلاب على ضرب أحد المدرسين، ومن الطريف أن العقاب لحق به وحده دون غيره، ثم عاد للمدرسة بشروط ومواثيق<sup>1</sup>.

### • مدرسة "ماونت هيرمون":

في عام 1951م انتقل إلى أمريكا ودرس في مدرسة "ماونت هيرمون" والتي أسسها الإنجليبي (داويت إل -مودي) في أواخر القرن الثامن عشر، ويتحدث إدوارد عن العنصرية ضده في هذه المدرسة يقول: في خلال دارستي في "ماونت هيرمون" لم أعين مرة خفير طابق أو رئيس مائدة أو عضوا في مجلس الطلبة أو الأول أوحتى الثاني في الصف، مع أنني كنت جديرا بذلك، وذلك لأسباب لم أعرفها قط، فسرعان ما اكتشفت ضرورة الإحتراس من السلطة وحاجتي إلى بلورة آلية ما، أو اندفاع معين حتى لا أفقد الأمل بسبب ما اعتبره جهودا مبدولة لإسكاتي أو حرفي عن أن أكون من أنا. وفي هذه المدرسة حصل له موقف أثر في مسيرته الفكرية، وفتح أمامه أفقا جديدة، عندما كلفه أستاذه (بولدين) ببحث حول إشعال عود كبريت، وبعد تحمل اللواجب والبحث وأنا فخور جدا بما جمعته، فطلب (بولدين) للنتو أن أجي لمقابلته خلال ساعات دوامه في المكتب... وفي هذه المدرسة شعر أنه في مرتبة دونية وإن كان أمريكي الجنسية، فأصوله العربية حرمته ميزات عديدة نالها الطلاب الأمريكيون يقول عن هذه العنصرية حينما حرم من إلقاء خطاب الترحيب في حفل التخرج: «شعرت بأنني أنا الذي يستحق مثل هذا التكريم عند التخرج وقد حرمته ولكني كنت أعرف بطريقة غريبة ولكنها صحيحة، أنني لا يجوز أن أعطاه، فتألمت

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص 26

عاجزا عن قبول المظلمة، أو عن فهم ما قد يكون في نهاية المطاف قرارا له ما يببرره ضدي. ولا تقيا، ولا حتى مقبولا بشكل عام، فأدركت أنه قد حكم على أن أبقى اللامنتمي مهما فعلت»<sup>1</sup>

### • جامعة «برنستون»:

وفي عام 1953 درس إدوارد في جامعة «برنستون»، وتخرج منها عام 1957م، شعر فيها بنوع من الاستقلال والاختيار، درس فيها الإنسانيات، يثني كثيرا على معلميه من حيث التمكن العلمية واللغوي، وكان للجامعة أثر كبير في نفسه، فقد حركت فيه سلسلة من التيارات الداخلية المتضاربة في معظمها، وتولدت عنده فكرة المثقف والأستاذ الجامعي. وفي هذه الجامعة نشر أول نص سياسي في صحيفة الجامعة، وتحدث فيه عن وجهة النظر العربية تجاه إسرائيل، وفي هذه الفترة تعرف على التيارات السياسية الدارجة، والتي أثرت في منظوره الفكرية والسياسي، وشعر في أواخر دراسته الجامعية بمزيد من التناقض وعدم النضج، يقول: "خلال القسم الأخير من دراستي في «برنستون» اكتشفت أنني كائن غير ناضج، ومتردد، ومتخبط، ومتعدد الشخصيات، أنا العربي، وعازف الموسيقى و المثقف الشاب، والهاشمي المتوحد، والطالب المجتهد، والمشاغب سياسيا». جامعة هارفارد: وفي عام 1963م نال شهادة الدراسات العليا في أدب من جامعة هارفارد، وأطروحته عن "كونراد"(1857-1924م) أثرت كثيرا في بنيته العلمية وشخصية الفكرية. واستفاد من عدة كتب في أطروحته مثل: كتاب "العلم الجديد" ل"فيكو"(1924-1968م) وكتاب «التاريخ والصراع الطبقي (لوكاش)(1885-1971) ومؤلفاته (سارتر)(1905-1924) وهايديغير(1889-1976) وغيرهم. ويذكر أن قراءته في تاريخ الموسيقى والأدب والفلسفة أسست لكل ماحققه في أبحاثه وتدريسه، ثم بدأ العمل أستاذا للأدب المقارن في جامعة (كولومبيا) عام 1963م. وأثناء فترة تدريسه في جامعة كولومبيا حظت أمر أثر في مسيرة حياته يقول: لم أعد الإنسان ذاته العام 1967م فقد دفعنتي الحرب الى نقطة البداية، الى الصراع على فلسطين، فدخلت من ثم المشهد أوسطي المتحول حديثا بوصفي جزءا من الحركة الوطنية الفلسطينية التي انبثقت في عمان، ومنها انتقلت الى بيروت في أواخر الستينيات وعلى امتداد السبعينيات وله اسمهامات كثيرة في القضية الفلسطينية. فقد دفع الرجل ثمنا باهظا لموافقة، وتعرض الكثير من المضايقات، وحاولوا اغتياله في عدة محاولات، وأحرق مكتبه لتخويفه وتهديده، وكان لفترة محميا، من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي الذي ألقى القبض ذات مرة على شخصين من المتطرفين اليهود وجدا في قبو بيته. مسيرة إدوارد سعيد العلمية حافلة بالصدمات الحضارية، والتي أثرت في تكوينه الفكرية والنفسي، وكانت عاملا رئيسا في نشاطاته العلمية والسياسية.<sup>1</sup>

### 1-3- مرضه ووفاته :

في مطلع سبتمبر 1991 أخبر إدوارد سعيد بأنه مصاب بسرطان الدم اللمفاوي المزمن ، وهو من إحدى استراحات ندوة أقيمت في لندن دعائها المثقفون والناشطون الفلسطينيون عشية مؤتمر مدريد ، ويقول إدوارد عن هذه اللحظات : «وسط هذه النقاشات ، وخلال إحدى الاستراحات المقررة ، خابرت زوجتي مريم في نيويورك مستفسرا عن نتائج تحليل الدم الذي أجرите لفحوصي السنوية،كنت منشغل البال بصدد1) مستوى(الكستيرول)،فقال لي : لا ،كل شيء ممتاز من هذه الناحية ، غير أنها أضافت مترددة:(شارل حزبي)،طبيب العائلة والصدیق ،يرغب في التحدث إليك عند عودتك ،شيء في صوتها أوحى إلي بأن كل شيء ليس على مايرام ،فاتصلت فوراً ب«شارل» في عيادته ،لأشياء يثير القلق ،قال :سوف نتحدث عندما تعود إلى نيويورك،دفعني رفضه المتكرر إخباري ما الخطب إلى نفاذ الصبر أخيراً :يجب أن تصارحني «شارل» أنا لست ولدا ،ولي الحق في أن أعرف،وبعد سلسلة كاملة من التملص .الأمر ليس خطيرا ،وأي أخصائي في أمراض الدم يستطيع الاعتناء بك بكل سهولة ،إنه مرض مزمن في كل الأحوال ،أبلغني أنني مصاب بسرطان الدم اللمفاوي المزمن ،مع أن الأمر اقتضى أسبوعا كاملا لكي أستوعب الواقع الأول للتشخيص استيعابا كاملا» توفي إدوارد سعيد في نيويورك عن عمر يناهز 67عاما في م25/09/2003<sup>2</sup>

### 1-3- مؤلفاته:

ألف إدوارد العديد من الكتب والدراسات والمقالات ،وقدم كثيرا من المحاضرات والمداخلات والحوارات ،ومن أبرز الكتب التي ألفها إدوارد سعيد ما يلي :

1/ جوزيف كونراد و رواية السيرة الذاتية 1966م غير مترجم.

2/ بدايات :المقصد والمنهج 1975م غير مترجم .

3/الإستشراق 1978م وله ترجمتان :الأولى ترجمة كمال أبو ديب (بيروت) مؤسسة الأبحاث العربية

ط:1: 1981م والترجمة الثانية للدكتور:محمد عناني (القاهرة :دار رؤية ،ط:2: 2003م،وهي أفضل

ترجمة الكتاب .

4/مسألة فلسطين عام 1979م غير مترجم.

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص 29

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 30

5/ القضية الفلسطينية والمجتمع الأمريكي عام 1979 م غير مترجم (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية ط2 1979 م).

6/ الأدب والمجتمع 1980 م غير مترجم.

7/ العالم والنص والناقد عام 1983 م ترجمة: عبد الكريم محفوظ (منشورات اتحاد الكتاب العرب 200 م).

8/ بعد الاسماء الأخيرة: حيوات فلسطينية 1986 م غير مترجم.

9/ لوم الضحية تحرير مع كر يستوفر هنتنز 1988 م.

10/ تنويعات موسيقية عام 1991 م غير مترجم

11/ الثقافة والامبريالالية 1993 م ترجمة كمال أبوديب (بيروت: دار الأدب، ط2 1998 م).

12/ القلم والسيوف 1994 م حوارات مع دافيد بارساميان، ترجمة، توفيق الأسدي (دمشق: دار كنعان ط3، 2008 م. 1)

13/ تمثيلات المثقف 1994 م، وقد ترجم ثلاث ترجمات بأسماء مختلفة، الأولى تحت إسم: صور مثقف، ترجمة: غسان غصن، بيروت: دار النهار، 1996 م والثانية باسم: الألهة التي تفشل دائما، ترجمة: حسام الدين خضور، (القاهرة ودمشق: دار الكتاب العربي، ودار تكوين) والترجمة الثالثة تحت عنوان: المثقف والسلطة، ترجمة د: محمد العناني (القاهرة، دار رؤية ط1: 2006 م).

14/ الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، القسم الأول من الكتاب كتبه برنارد لويس، والقسم الثاني كتبه إدوارد سعيد دون مترجم (بيروت، دار الجبل ط1: 1994 م).

15/ غزة أريحاء سلام أمريكي 1995 م مترجم

16/ تعقيبات على الإستشراق 1996 م ترجمة: صبحي حديدي ط1 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1996 م).

17/ خارج المكان (سيرة ذاتية)، ترجمة: فواز طرابلسي (بيروت) دار الأدب ط1: 2000 م.

18/ تأملات من المنفى 2000 م ترجمة: فواز طرابلسي (بيروت) دار الأدب ط1 2004 م.

- 19/ نهاية عملية السلام: أوصلو وما بعدها إدوارد سعيد (بيروت: دار الأدب 2002م).
- 20/ نظائر ومفارقات: استكشاف في الموسيقى والمجتمع 2002م كتبه إدوارد سعيد بالتعاون مع دانيال بارنيويم، ترجمة: نائلة قلقيلي حجازي (بيروت دار الآداب ط1: 2005م).
- 21/ الانسانية والنقد الديموقراطي، إدوارد سعيد، ترجمة فواز طرابلسي (بيروت: دار الآداب، ط1 2005م).
- 22/ إسرائيل، العراق، الولايات المتحدة، إدوارد سعيد (بيروت، دار الآداب، ط1، 2004م).<sup>1</sup>(2)

---

1/ المرجع نفسه ص 34,33  
2 / المرجع نفسه ص34,35.

### المبحث الثالث :ملخص الكتاب

استهل المترجم كمال أبو ديب مقدمته بتقييم كتاب المؤلف إدوارد سعيد فيقول أنه يمثل جزءاً من ثورة جديدة في الدراسات الإنسانية تضرب جذورها في الماركسية والألسنية والبنويوية... ثم أضاف بذلك أنها مدرسة جديدة من التاريخ الجديد تنتسب بعمق إلى أعمال ميشيل فوكو ج تبدأ بإضاءة منابع ومكامن لقوة ظلت خارج نطاق الدراسة ( السابقة ) السياسية الفكرية. ويرجع هذا إلى رج الثقافة الغربية وكشف آليات السلطة والسيطرة والقوة والتلاعب التحكمي فيها. والآلية التي بها يمارس الداخل ؛أي المؤسسة التي تمتلك السلطة السيطرة المطلقة على الخارج.موضوع السلطة . ثم نقد كتاب إدوارد سعيد وتوسع غي فكرته ورأيه المتطرف وهذا ما سنأتي عليه لاحقاً في المباحث القادمة, ثم خصص بعد ذلك كشاف مصطلحي وفيه أشار إلى بعض المصطلحات المركبة ،وتفصيلها وترجمتها إلى الفرنسية سيكون هناك جدولاً خاصاً بهذه المصطلحات في آخر البحث. وبعد هذه المصطلحات تأتي مقدمة المؤلف فيتحدث إدوارد سعيد على أن الشرق اختراع غربي، ولم تبق له مكانة فتلاشى وانقضى أجله وتطرق إلى التراث

العريق لكل من الشرق الأقصى ،الفرنسيين ، البريطانيين ، وماسيسمييه الإستشراق وعرفه على أنه الطريقة للوصول إلى تلاؤم مع الشرق مبنية على منزلة أن الشرق ليس لصيقاً بأوروبا فحسب بل هو موضع أعظم مستعمرات أوروبا وأغناها وأقدمها ،ومصدر حضاراتها ولغاتها، ثم تحدث عن علاقة الشرق والغرب تاريخياً وثقافياً ، عرقياً وألسنياً، سياسياً. وحول سلطة الغرب على الشرق ،وتعمق في موضوع الاستشراق وانعكاساته على الثقافة وتطوره وتثبيته على الأدب والسياسة ، وأضاف أنه أفضل طريقة مارست فيها السلطة الثقافية فاعليتها.

في الفصل الأول تحدث عن مجال الإستشراق وقسمه إلى أربعة أجزاء وهي، التعرف على الشرق ، الجغرافيا التخيلية وتمثيلاتهما، شرقنة الشرق ، مشاريع ، والجزء الرابع أزمات. تحدث في الجزء الأول عن الجدالات والمداخلات حول الشرق وماهو شرقي كالبريطانيين في محاولتهم لحل مشكلات مصر ، وكذلك التحدث عن كل ما يخص أي شيء شرقي سواء كان حكاية أو أسلوب ويكون مفهوماً ،وعلى من استعمل لفظة شرقية مثل **ماركس**، و**بلفور** الذي يعرف كيف يشعر الشرقيون ويعرف توقعاتهم وذلك كونهم عرقاً محكوماً يسيطر عليه عرقاً آخر ، يعرفهم ويعرف ما هو خير لهم ، وجدواهم الوحيدة في العالم الحديث تنبع من كون الإمبراطوريات القوية البالغة المعاصرة التي أخرجته من انحطاطه.قثمة غربيون وثمة شرقيون، والأسبقية للغرب ؛ أي ينبغي على الشرقيين أن يخضعوا للسيطرة ،وتدار شؤونهم الداخلية بصرامة وتوضع دماؤهم وثرواتهم تحت تصرف الدولة الغربية. إن المعرفة بالعروق



المحكومة أو الشرقيين هي التي تجعل حكمهم سهلا ومجديا، وفي عرف كرومر يميل الشرقي بطبعه إلى تجاهل وجوده. فالمعرفة الأساسية

التي كانت في طريق التطور لزمن طويل بنوعها الجامعي والعلمي، التي ورثها كرومر وبلفور عن قرن من الإستشراق الغربي الحديث. وفي هذا الجزء تحدث المؤلف عن معرفة الشرقيين، بعرقهم وخصائصهم، وثقافتهم وتاريخهم ، وتقاليدهم ومجتمعاتهم وإمكانياتهم وتحدث عن سلوكياتهم

السادجة ، وعن رؤية كرومر للشرقي الذي يعتبره مذنبا ، وتطرق المؤلف إلى علاقة الشرق بالغرب. فقد استخدم بلفور وكرومر عددا من المصطلحات للتعبير عنها ، مثلا الشرقي لا عقلائي ، فاسق ، طفولي ، وبالمقابل الأوروبي عقلائي ، متحل بالفضائل يعيش في عالم خاص به. وفي الجزء الثاني تحدث عن الإستشراق وأنه حقل ذو طموح جغرافي وافر وهو فرع من فروع الدراسة الجامعية. وثمة مؤشرات على أن الإستشراق قد أصبح مكتنزا علميا من الإتساع الأول هو الوصف الموسوعي للإستشراق قدمه ريمون شغاب في كتابه " النهضة الشرقية " والمؤشر الثاني الدال على المدى الذي تحول فيه الإستشراق إلى حقل شمولي موجود في الحوليات وأن الشرق الذي تمت دراسته كان كونا نصيا ، جاء وقعه عبر الكتب والمخطوطات لاعبر النحت والخزفيات وما من شك في أن الجغرافيا والتاريخ التخيليين يساعدان العقل على أن يزيد إحساسه بذاته حدة وتوترا عن طريق تحديد المسافة والفرق بين ما هو لصيق به وما هو قصي عنه . ثمة أشياء فعلية كالتاريخ والجغرافيا الإيجابيين اللذان حققا إنجازات ضخمة في أوروبا والوم أ . وقد استشهد المؤلف من مسرحية إسخيلس الفرس ، وفسر فيها استمرار جزاء الشرق كلما تحدى الغرب وأنه سيظل جانبا للشرق اللذان برزا في المسرحيات التي ذكرها ؛ أي الخواء والضياع متخللين أساسيين للجغرافيا التخيلية الأوروبية ، ذلك أن حدا فاصلا قد رسم بين قارتين : أوروبا قوية وفصيحة ، وآسيا مهزومة وتائهة. ولخص بصورة عامة أن الإستشراق شكل من أشكال الواقعية الجذرية الراديكالية ومن وجهة نظر بلاغية ، هو بشكل مطلق تشريحي وتعدادي ، واستخدام مفرداته

هو الاشتغال بتخصيص الأشياء الشرقية بدقة ، أما نفسيا ؛ فهو شكل من أشكال العصاب التوهمي (بارانويا ) ومعرفة من نمط آخر مختلف. وفي الجزء الثالث ، تحدث عن المشاريع الاستشراقية وعن الخطط التي وضعها المستعمرون لمستعمراتهم ، فمثلا غزو نابليون لمصر كان قد سبقه مشروعان استشراقيان رئيسيان الذي كان لهما أثرا في تاريخ الاستشراق الحديث وقد لمح على مجموعة من الباحثين ، فمثلا الجهود التي قام وليم جونز بها تعتبر ثاني المشروعين قبل النابوليين ، فعمل جونز الرسمي القانون ، وقبل سبع سنوات من وصوله إلى الهند أتى مشروع وارن هيسينغر على أن الهند ينبغي أن يحكموا تبعا لقوانينهم الخاصة وهو أعمق مبادرة وجرأة. كانت لجميع المشاريع الإستشراقية

قبل نابليون خصيصة مميزة ؛ هي أنه لم يكن ثمة إلا القليل مما يمكن القيام به مسبقا من أجل نجاح المشروع . وقد تعمق المؤلف في مشروع نابليون الاستشراقي ، ويضيف أنه لا تكمن قراءة الوصف في حجمه فقط ، بل في موقفه من موضوعه ، وهذا الموقف هو ما يجعله ذا أهمية عظيمة في دراسة المشاريع الاستشراقية الحديثة. في الجزء الأخير من الفصل الأول تحدث عن الأزمات والمشاكل التي واجهت دراسة الإستشراق والمستشرقين فقصور الإستشراق ومحدوديته يأتیان نتيجة طبيعية لتجاهل ثقافة أخرى أو شعب آخر أو إقليم جغرافي آخر ، وتحويلها إلى جوهر خالص ، وقد كانت نجاحات الإستشراق الوصفية والنصية من الضخامة والتأثير ، بحيث أن مراحل كاملة من تاريخ الشرق الثقافي ،السياسي والإجتماعي تعتبر الآن مجرد استجابات للغرب ، فالغرب هو المشاهد والحكم ، ومع ذلك إذا كان التاريخ خلال القرن العشرين قد أثار تغييرا داخليا في الشرق ، ومن أجله ، فإن المستشرق يصاب بالذهول ، فهو يفترض أن ما لم تقم نصوصه بإعداده لمواجهة هو نتيجة ترتيب على التحريض الخارجي في الشرق الضال ، والأزمة الحاضرة تزيد التفاوت بين النصوص والواقع الدرامي ، فعلى المرء أن يمحس الإستشراق ويقترح سبلا فكرية لمعالجة المشكلات المنهجية التي جاء بها التاريخ نأتي الآن إلى الفصل الثاني الذي تحدث فيه المؤلف عن البنى الإستشراقية وإعادة خلق البنى ، وقسمه إلى أربعة أجزاء كذلك ؛ الجزء الأول يتحدث عن حدود أعيد رسمها ، قضايا أعيد تحديدها والدين المعلمن ، الجزء الثاني سلفستر دو ساسي وإرنست رينان علم الإنسان ، الجزء الثالث يتحدث عن الإقامة في الشرق والبحث ، متطلبات المعجمية والخيال والجزء الأخير تحدث عن الحج والحجاج بريطانيين وفرنسيين. تحدث في الجزء الأول عن العناصر الأربعة التي مهدت الطريق لبنى الإستشراق وهي التوسع ، المجابهة التاريخية والتعاطف والتصنيف ؛ هي تيارات فكرية تعتمد عليها البنى المؤسسية المحددة للإستشراق الحديث ولولاها لما حدث الإستشراق . وقد كان من أثرها أنها أطلقت سراح الشرق عامة ، والإسلام خاصة ، فإن الإستشراق يشتق من عناصر معلمنة في الثقافة الأوروبية في القرن الثامن عشر ومن أثر أحدها ، توسع الشرق جغرافيا إلى آماذ شرقية أبعد وتوسعه زمانيا إلى آماذ أكثر غورا. في الجزء الثاني تحدث عن دوساسي وإرنست رينان ؛ نبذة عن دوساسي وأهم أعماله وعن دراساته حول الإستشراق **دوساسي 1759** ، وكانت جهوده تبعث على الحس بالرهبة. أما بالنسبة للفرق بين ساسي ورينان ، فهو التدشين والإستمرارية فساسي هو البادئ المؤصل الذي يمثل عمله بروز الميدان ، أما رينان فإنه يشتق من الجيل الثاني للإستشراق وكان دوره منح التماسك والصلابة للإنشاء الرسمي للإستشراق ، ومنح الإنتظام لحدوسه ونظراته الثابتة ، وبالنسبة لساسي فقد كانت جهوده الفردية هي التي بدأت حفل الإستشراق وبنيته الفكرية والمادية ، أما رينان فقد كانت أقليمته للإستشراق مع فقه اللغة ، وأقلمة كليهما مع ثقافة عصره الفكرية ما منح البنى الإستشراقية ديمومتها الفكرية وجعلها أبرز

حضور للعيان . ثم تعمق وتوسع في الحفظ والدراسات الإستشراقية. في الجزء الثالث من الفصل الثاني يتحدث عن درجة التفاوت بين منجزات الشرق ومنجزات الغرب ، ويتطابق في هذا المنظوران الإستشراقي واللا إستشراقي ، فضمن المجال المقارن الذي صار إليه الإستشراق بعد الثورة فقه اللغوية في أوائل القرن التاسع عشر ، وخارج هذا المجال ، إما في النماذج المنمطة الشائعة أوفي المجازات التي صنعها من الشرق فلاسفة ، فمن هذه الأنماط جعل الشرق ذا منزلة فرعية خاضعة للغرب وغدا موضوعا لتبادل النظريات المتعددة التي استعملته وسيلة للإيضاح فقد اشتغلته أطراف لم يكونوا مستشرقين من أجل مصالحهم السياسية رغم التعقيدات والتشابكات لهذه الشراكة اللامتساوية بين الشرق والغرب ، وهذا الإشكال أثر على التعاطف الإنساني ، فالمستشرقون لم يقدرُوا على مناقشة الأفراد وبدلاً عن ذلك تغطى أعمالهم كيانات مصطنعة. وكان غرض المؤلف في هذا الفصل هو أن يظهر أن القرن التاسع عشر شهد خلق مصطلحات مهنية وممارسة مهنية حديثة طغى وجودها على الإنشاء الكتابي

المتعلق بالشرق ، سواء كان كتابة من المستشرقين أو غير المستشرقين ، وكانا ساسي و رينان مثلين على الطريقة التي صاغ بها الإستشراق جسدا من النصوص وعملية جذورها في فقه اللغة ، على التوالي اكتسب بهما الشرق هوية إنشائية جعلته غير مساو للغرب ؛ إقامته المستشرقين في الشرق ، والثمرات البحثية لهذه الإقامة تنصب في التراث الكتابي للمواقف النصية لدى رينان وساسي. لقد نظم الإستشراق نفسه بصورة مطردة بوصفه حصولا على المادة الشرقية ونشرا مقننا لها كشكل من أشكال المعرفة المتخصصة . وقام المرء بنسخ كتب النحو وطباعتها ، وحصل على النصوص الأصلية ، وضاعف اعدادها ونشرها في مجال واسع، وأفرز المعرفة في أشكال مرحلية . وكل هذه الكتب ترجمت وأعيد انتاجها ماديا في الغرب من الغرب. فقد أصبح الشرق صنعة لا يستطيع فيها المرء ان يرممه ويعيد صنعه فحسب بل ان يرمم نفسه ويعيد صنعها. اما في الجزء الأخير من الفصل الثاني يتحدث عن الحج والحجاج، كان الشرق مكانا للحج، وقد استقى كل عمل رئيسي ينتمي إلى استشراق أصيل ، فكل حاج يرى الأشياء بطريقته الخاصة ، غير أن ثمة حدودا لما كان يمكن أن يستخدم الحج من أجله وللهيئة والشكل اللذين يمكن أن يتخذهما وللحقائق التي يكشفها. فالحجاج آنذاك خاصة الفرنسيون كانوا يبحثون عن حقيقة غريبة مدهشة، فهم يستغلون الشرق في أعمالهم من أجل أن يبرروا بطريقة ملحة ، مساربهم الوجودية. فالمستشرقون ، فيما بينهم يعاملون نصوص بعضهم بعض بالطريقة الإقتباسية ، فالإستشراق بوصفه شكلا من أشكال المعرفة النامية لجأ بشكل رئيسي إلى اقتباس الباحثين الأسلاف في هذا العقل من قوته وانتعاشه وقد حاكم المستشرق حتى المادة الجديدة التي وقعت له ، حين وقعت له مادة جديدة ، بأن استعار من أسلافه منظوراتهم وطروحاتهم المادية. ثم بعد ذلك ذكر المؤلف مجموعة من الحجاج

الموهوبين ورحلاتهم إلى الشرق أمثال لامارتين الذي حقق الغرض من حجه . وبالنسبة له شبكت الحجة إلى الشرق لا اختراق الشرق فقط من قبل وعي متعطر، بل البتر العقلي أيضا. لهذا الوعي نتيجة لارتقائه إلى نوع من السيطرة اللاشخصية والشاملة على الشرق. وتحدث عن اعمال نرفال و فلوبير الشرقية ودورها في رحلة لامارتين الأمبريالية في عمله الكامل. ثم قارن المؤلف بين رؤيا نرفال ورؤيا فلوبير. فالأولى بدت له سلبية لشرق مفزع والثانية مادية بصورة بارزة ، وتحدث عن الذين كتبوا عن الشرق ، والبنى الإستشراقية كبيرتن بتعميماته حول الشرقي ، الذي رمم أقاليم المعرفة والحياة المختلفة للمعرفة الأوروبية وأعاد بنائها . فأصبح الشرق مجالا للحكم البحثي الفعلي وللسيطرة الأمبريالية الكاملة وأصبح الإستشراق رسميا محولا الى نسخة عن نفسه، ويعاد انتاجها المرة بعد المرة. في الفصل الأخير من تقسيمات الكتاب المعنون ب" الإستشراق " الآن الذي يتكون من أربعة أجزاء.

يتحدث الجزء الأول عن الإستشراق الكامن والظاهر ، فالإستشراق ليس مجرد مذهب إيجابي حول الشرق يوجد في وقت واحد محدد في الغرب ، بل هو كذلك تقليد جامعي ذو تأثير ، فقد دعم الإستشراق ودعم من قبل الضغوط الثقافية العامة التي كانت تميل إلى أن تزيد صلابه الحس بالتمايز بين الأجزاء الأوروبية والآسيوية من العالم. وقد تحدث المؤلف عن النظريات المتعلقة بتاريخ الإنسان والحضارة ، أي النظريات الفلسفية والفرضيات الكونية الفضاضة كما يدعوها الفلاسفة أحيانا. وقد وضح بأنه تمييز إيجابية لا واعية وماسماها بالإستشراق الكامن ، ومختلف الآراء المعبر عنها حول المجتمع ، واللغات ، الآداب ، التاريخ ، وعلم الإجتماع الشرقية ، وما سماها بالإستشراق الظاهر ، أما إجماعية الإستشراق الكامن واستقراره وقدرته على الإستمرار فهي نوعا ما ثابتة لا تكاد تتغير . فالإستشراق

الكامن زود أي إنسان يود أن يصدر تقرير ذا بال عن الشرق بمقدره اختصاصية يمكن استخدامها ، أو تجنيدها وتحويلها إلى إنشاء معقول يصلح للمناسبة المحسوسة وقد مثل جميع المقدرات الإفصاحية الأخرى والإنشاءات التي تجعلها ممكنة ، كان مكرها على نفسه ، وكان هذا الإستشراق الذي نقله جيل عن جيل جزء من الثقافة اكتسب اكتشافات الغربيين حول الشرق . وكثير من الأحيان يلقي التأكيد والإثبات حين أصبح الشرق واجبا إداريا فعليا التقاطع بين مذهب الإستشراق الكامن وبين تجربة الإستشراق الظاهر لم يبلغ في أي وقت آخر ما بلغه من الإحتدامية ، تقومان بمسح جغرافي لتركيب الآسيوية من أجل تقطيعها وفي النهاية لعل الفرق الذي يحس به المرء دائما بين الإستشراق البريطاني

الحديث الإستشراق الفرنسي الحديث أن يكون فرقا أسلوبيا ، وحس التمايز المحتفظ به بين الشرق والغرب واستحسان السيطرة الغربية على الشرق. أما الجزء الثاني فتحدث عن الرجل الأبيض لكيبيلينغ

وأفكاره الناجمة عن ظروف تاريخية وثقافية معقدة متشابكة بينها وبين تاريخ الإستشراق في القرن التاسع عشر ، أحدها العادة المقررة ثقافيا لاستخدام تعميمات ضخمة . يقسم الواقع عن طريقها إلى صيغ جمعية متنوعة لغات ، عروق ، أنماط ، ألوان وعقليات . فالمشاركات الإنسانية التي تشكلها القيم الثقافية التي يعاد تقريرها قد قامت بدور الإقصاء بقدر ما ضمت وشملت إلى الداخل . كان الطرف الآخر المشترك بين خلق الرجل الأبيض ، والإستشراق هو العقل الذي سيطر كل منهما عليه . ولأن الرجل الأبيض كالمستشرق ، عاش لصيفا بخط التوتر ( الذي يبقى المل )

فقد شعر بأنه لزام عليه أن يحدد، ويعيد تحديد المجال الذي قام بمسحه ، ولذلك فهناك مقاطع من الوصف السردي تتبادل المواقع بانتظام مع مقاطع من التحديد والمحاكمة المصاعين من جديد تعترض السرد وتمزقه ، وذلك أسلوب مميز للكتابة التي أنتجها الخبراء الشرقيون الذين أدوا عملهم مستخدمين الرجل الأبيض قناعا لهم . فالظروف المميزة بين العروق والحضارات واللغات كانت جذرية ، محالة الإجتثاث ، فقد تغلغت إلى أعماق الأشياء ، وأكدت أنه ليس ثمة من مهرب من الأصول ومن الأنماط التي جعلها هذه الأصول ممكنة وقد أقامت الحدود الحقيقية بين البشر، وقد أقصت الرؤيا عن الوقائع الإنسانية الشائعة ، لقد اسبغت مهنة البحث المتخصص امتيازات فريدة على محترفيها . تحدث عن مبدائي الهوية واللا تناقض ووضح أنهما لا يلزمان المستشرق بل تغطي عليهما المعرفة الخابرة والإستشراقية . وتحدث عن الكثير من رؤيا الخبراء والمستشرقين . وفي الجزء الثالث من الفصل الثالث ؛ تحدث على الغرب بحيث كان بحاجة إلى الشرق كشيء ينبغي دراسته لأنه يطلق الروح من عقال التخصص العقيم ويخفف من أذى التمرکز في الذات المفرط في القومية والصنيف ويزيد من إدراك المرء للمسائل المركزية في دراسة الثقافة ، وإذا كان الشرق يبدو الآن شريكا في هذه الجدلية الجديدة الصاعدة لوعي الذات الثقافي ، فإن ذلك يعود أو لا إلى كونه يشكل تحديا أكثر مما كان في الماضي وثانيا إلى أن الغرب يدخل فترة جديدة نسبيا عن الأزمة الثقافية . وقد تحدث المؤلف عن حش الإغتراب الذي عرفه المستشرقون ، إذا عاشوا في ثقافة تختلف بعمق عن ثقافتهم ، لكن فرقا لافتا بين الإستشارة في صورته الإسلامية وجميع فروع المعرفة الإنسانية الأخرى التي تمتلك فيها مفهومات، وأن المستشرقين الإسلاميين لم يروا قط اغترابهم عن الإسلام بوصفه شيئا محبذا أو موقفا ذا تضمينا لما أثرها على تحقيق فهم أفضل لثقافتهم الخاصة . والشيء الذي يميز الإستشراق الإسلامي إلى يومه الحاضر موقعه التراجمي حين يقارن مع العلوم الإنسانية ، تخلفه المنهجي والعقائدي العام . إن التمثيلات التي قدمها الإستشراق في الثقافة الأوروبية تؤول في النهاية إلى ما يمكن أن يسمى تواترا استطراديا . وتواتر لا يملك تاريخا وحسب

بل حضورا ماديا ومؤسساتيا خاصا به. وقد أضاف المؤلف أن النقطة التي يثيرها حول هذا النظام لسيت أنه تمثيل خاطئ لجوهر شرقي بل أنه يفعل كما تفعل جميع التمثيلات عادة لخدمة شرقي، بل أنه يفعل كما تفعل التمثيلات عادة لخدمة غرض وتيعا لنزعة ما ، في وضعية إطارية تاريخية ، وفكرية ، بل حتى اقتصادية معينة ، وتحدث أيضا عن وقائع التجربة الإنسانية اليومية وعن الإستشراق الإسلامي والتقديم التقليدي. وفي الجزء الأخير من الفصل الأخير تحدث عن العرب وعن الإسلام وبأن الإستشراق بنفسه وفي نفسه ، وكطعم من المعتقدات ، وكمنهج للتحليل لعاجز عن التطور ، بل إنه بحق النقيض المذهبي للتطور فمنظومته المركزية هي أسطورة تطور السامين المعاق ومن هذا المنبت تتدفق أساطير أخرى. بيد أن التي رغم إخفاقاته ، ومصطلحه الذي يثير الشفقة إلا أنه يزدهر اليوم فإن ثمة ما يدعو إلى القلق في كون تأثيره قد انتشر إلى الشرق. فالجزء الوحيد من الشرق الذي يستطيع المؤلف التحدث عنه ، شيء من المعرفة المباشرة يمكن اعتبار التلاؤم المتبادل بين الطبقة المفكرة والأمبريالية الجديدة أحد الإنتصارات الخاصة للإستشراق فالعلم العربي اليوم كوكب تابع فكريا ، سياسيا، وثقافيا للولايات المتحدة. وفي آخر هذا الجزء وضح إدوارد سعيد أنه حاول أن يظهر بأن العمل اليوم يؤدي في العلوم الإنسانية لتزويد الباحث المعاصر بنظرات نافذة، ومناهج، وأفكار بميسورها أن يتخلص من النماذج المنمطة العرقية والعقائدية والأمبريالية من النوع الذي قدمه الإستشراق أثناء ارتقائه التاريخي.

الفصل الثالث

- ✓ تقييم الكتاب
- ✓ نقد الأفكار والأسلوب
- ✓ أهمية الكتاب وقيمه
- ✓ الاستشراق بين دعائه ومعارضيه
- ✓ خاتمة

### الفصل الثالث: تقييم الكتاب

#### المبحث الأول: نقد الأفكار والأسلوب:

منذ أن رأى كتاب «الاستشراق» النور تعرض إلى موجة كبيرة من الانتقادات وسبب تسونامي نقدياً لدراسات المهتمة بالشرق الأوسط، تحدثت بعض هذه الكتابات عن إدوارد سعيد وكتابه بصورة تهدف إلى تشويه والإقصاء، من خلال التشكيك في دافعه لكتابه عن هذا الموضوع. ومن هذه الانتقادات ما صدر من المدافعين عن الصهيونية وإسرائيل، لأن سعيد له موقف معلوم من تجاوزات إسرائيل وضمنها كتابة «الاستشراق» بل إن ما دفعه للتأمل في الامبريالية الغربية هو موقفها من فلسطين و الفلسطينيين، ومن هذه الانتقادات ما كان طابعه موضوعياً يناقش أفكار سعيد، من غير شخصنة، أو عنصرية مذهبية أو مكانية. يتحدث سعيد في كتابه «تعقيبات على الإستشراق» عن اتهام «الاستشراق» بالعداء للغرب وأبدي أسفه البالغ لهذا الإتهام، ويقسم سعيد هذه الفكرة إلى جزأين يناقشان معا تارة، وعلى نحو منفصل تارة أخرة

الجزأ الأول: هو الزعم المنسوب إليه كما -كما يصرح سعيد -والقائل بأن ظاهرة الإستشراق هي مجاز متجزأ، أو رمز مصغر للغرب بأسره، ويتوجب في الواقع اعتبار الظاهرة ممثلة للغرب بأسره. ومادام ذلك -كما تقول الحجة -فإن الغرب بأسره عدو للشعوب العربية والاسلامية<sup>1</sup>.

الجزء الثاني: من حجة المنسوبة إليه أقل إفراطاً، وهي القائلة بأن الغرب والاستشراق المقترسين قد انتهكا حرمة الإسلام والغرب، وأتى كتاب «الاستشراق» ليقف في الصف المساند للإسلامية وللأصولية الإسلامية. ويرد سعيد هذه الاتهامات لأنه ينطلق من عداء صريح للنزعة الجوهرائية «ومن التشكيك الجذري بجميع التعيينات التي تقدم كمقولات من نوع "الشرق" و"الغرب" ومن الحرص بالغ شديد على عدم الدفاع عن \_ أو حتى مناقشة \_ الشرق والإسلام. ومع ذلك فقد قرئ الإستشراق وكتب عنه في العالم العربي بوصفه دفاعاً منهجياً عن الإسلام والعرب، رغم ما يشير إليه بوضوح من أنني -والكلام السعيد، لا أنوي، إذ لا أمتلك القدرة على إظهار الماهية الحقيقية لكل من الشرق والإسلام والحق أنني أذهب أبعد بكثير في جزء مبكر من الكتاب، فأقول بأن كلمات مثل «الشرق» و«الغرب» لا تتوقف مع واقع ثابت يوجد كحقيقة طبيعية، فوق هذا أشير إلى أن جميع التعيينات الجغرافية هي مزيج عجيب من التجريبي والخيالي». <sup>1</sup>

<sup>1</sup> الإستشراق عند إدوارد سعيد رؤية إسلامية دتركي بن خالد الظفيري مركز التأصيل للدراسات والبحوث المملكة العربية السعودية، جدة الطبعة الثانية 1432/2019 ص173



ويظهر أن إتهامه بالدفاع عن الإسلام من أشد الاتهامات على نفسه، لأن هذه التهمة تخالف النزعة الانسانية والعلمانية التي ينطلق منها، فلذا نجده يتبرأ من هذه التهمة في مواطن متفرقة، ففي كتابه «تغطية الإسلام» ذكر في البداية أن هذا الكتاب ما أبعد أن يكون دفاعا عن الإسلام، فذلك أمر بعيد الاحتمال، وجهد لا طائل من ورائه في حدود ما يرمي إليه الكتاب الذي يقتصر على وصف صور استعمال المصطلح «الإسلام» في الغرب. وفي تعقيب له على الاستشراق نشر في عام 1994م يقول: إن «محاويتي بعيدة عن أن حديث سعيد عن العرب أو الإسلام كما فهم البعض كتابي». إن أصول سعيد العربية ودفاعه عن حقوق الفلسطينيين جعله مواطن تهمة، وأضحت رؤيته محل تشويه من قبل أطراف متعددة. وفي الجانب النقدي سأتناول الموضوع من زاويتين:

الأولى: الإنتقادات الموجهة إلى سعيد من قبل المعارضين لفكرته، والثانية: النقد الذي انتقدته عليه في ضوء المنهج الإسلامي، وسأتطرق لهذه المسائل وفق هذا الترتيب: أولا: النقد الماركسي.

ثانيا: النقد الصهيوني ثالثا: النظرة الضيقة الاستشراق. رابعا: ضعف اطلاعه على دراسات المستشرقين تجاه الإسلام منها. سادسا: نقد الدنيوية عند إدوارد سعيد، وموقف الاسلام منها.<sup>2</sup>

أولا: النقد الماركسي: تحامل الماركسيون على إدوارد سعيد، بسبب موقفه من «كارل ماركس» (1818-1883م) مع تأكيده أثر الماركسيين عليه أكثر من المنهج الماركسي نفسه. بل يرى الماركسي إعجاز أحمد بأن كتاب «الاستشراق» تحول جلي من "ماركس" و"فوكو" 1926-1985م، لأن سعيدا -كما يرى إعجاز- توسل «فوكو» توسلا صريحا، وأعلن سعيد بأن موضوع دارسته -الاستشراق- هو خطاب، وأرجع ذلك إلى نظرية الخطاب عند «فوكو» فالماركسيون جن جنونهم - وخاصة الماركسيين العرب، لأنهم يرون أن إدوارد انقلب على الماركسية بعد أن كان تابعا لها -مع نفي سعيد هذا الانتساب- وأنه نبذ «ماركس» في «الاستشراق» بوصفه مجرد مستشرق آخر، وفي هذا تجن على سعيد فلم يحصر الماركسية بأنها خطاب استشراقي وإنما أشار إلى الكولونيالية عند «ماركس» وبعده عن التعاطف الإنساني في تلك الكلمات. صحيح أن إنجلترا، عندما تسببت في إحداث ثورة اجتماعية في هندوستان، لم تكن دوافعها إلا أحقر المصالح، وصحيح أن خدمة هذه المصالح قسرا كان يتصف بالغباء، ولكن ليست هذه ثورة أساسية في الحالة الاجتماعية لآسيا؟ فإذا كانت الإجابة بالنفي، فمهما تكن جرائم إنجلترا، فإنها كانت دون أن تدري وسيلة التاريخ في إحداث تلك الثورة». ثم يستشهد «ماركس» بأبيات ل«جوته» كانت محل نقد من سعيد: وإذن أعلينا أن نتألم من تلك الآلام وهي تعود

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص173

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص177

علينا بسرور عظيم؟ أفلم تهلك أرواح لا حصر لها في ظل حكومة «تيمور الأغشم» ويعتبر سعيد "أن مجرد الاستشهاد ب«جوته» هنا يعد مؤشرا على المصادر التي يستقي منها «ماركس فكرته عن الشرق»، كما يعد علامة على تصور ماركس مسكون برومانتيكية مسيحية ترى أن "الشرق ليس مهما بوصفه مادة إنسانية يقدر ماهو عنصر في مشروع رومانتيكي للخلاص". ويشدد سعيد على التعارض الكامن في فكر "ماركس" بين التحليلات الاقتصادية ذات الطابع الإنساني، ويخلص إلى أن وجهة النظر الاشتراكية هي التي تسود في آخر المطاف». ويعد صادق جلال العظم ومهدي عامل من أبرز الشخصيات التي اهتمت بنقد موقف إدوارد سعيد من "كارل ماركس"، لذلك سأقف مع أهم انتقاداتهما. يشير العظم إلى الاستشهاد الذي ذكره سعيد غير كاف لتكوين صورة واضحة عن موقف ماركس من الشرق وأن حديث ماركس بقسوة في حين إنه تعامل مع المستشرقين أمثال (جيب) (1895-1971م) و«ماكدونالد» (1823-1943م) و«ماسينيون» (1883-1972م) يتعاطف كبير، مستنتجا من ذلك أن هناك تحاملا على ماركس، كما يسعى العظم إلى إثبات أن سعيدا نفسه قد وقع أسير النظرة الاشتراكية التي تهب جواهر ثابتة للحضارات تمنع أي تلاقح بينها أو تفاعل، كما وقع أسير تناقض يصعب حله حين انطلق من افتراض أن كل ثقافة مضطرة لأن تتصور الآخر انطلاقا من رؤيتها للعالم ومن مفاهيمها، وبالتالي تصوغ تمثيلا للشرق مخالفا لواقعه. ويرى العظم أن نقد سعيد ل «ماركس»، وإن اكتسى بسموح أكاديمية، ينطوي على مواقف سياسية مؤيدة للهيمنة الأمريكية إذا إننا -من وجهة نظره- في مقابل «ماركس» الثوري والداعي للتحرر الإنساني، نجد سعيدا يقف مستشارا الإمبريالية الأمريكية «عندما قدم نصيحته إلى صانعي السياسة الأمريكية وخبرائهم واختصاصييهم حول أفضل الأساليب وأفضل الطرق لتحسين شروط علاقة التبعية»<sup>1</sup>

أشار صادق جلال العظم في رده على إدوارد سعيد وإلى أن استخدام ماركس لأنواع من الأسباب الذي يندرج في إطار معادلة السامية والعنصرية لا يكفي لاتهامه بهاتين التهمتين -وهما التشديد على الدور الإيجابي للاستعمار، وتبرير العنف ضد النظام الاقتصادي الهندي- ولكن "روبير مزراحي" في كتابه «ماركس والمسألة اليهودية» ناقش الأمر من زاوية أخرى، إذ لاحظ أن العبارات التي تدين اليهود تكثر في أعمال «ماركس» الشاب مثل «المسألة اليهودية ومخطوطات 1844م»، في حين إنها تكاد تختفي من أعمال النضج مثل «رأس المال». ويستنتج مزراحي من ذلك أن معاداة السامية ظهرت عند ماركس عندما لم يكن علميا، ولكنها تلاشت بعد استخدام ماركس للمنهج العلمي في دراسة الظواهر الاجتماعية. وهنا يلتقي مزراحي مع النقد الماركسي العربي لموقف إدوارد سعيد من «ماركس» فالمنهج العلمي وخطاب الاستشراق نقيضان لا يجتمعان، ولذا فإن إشارة سعيد إلى تبني ماركس لخطاب الاستشراق تنفي

<sup>1</sup> نفس المرجع ص 178-179

بالضرورة عن ماركس أي إسهام علمي، ولهذا يرى مهدي عامل، كما أشرنا، أن التأويل السعيد لا يقتصر على تصور ماركس الشرق وحده، بل «بطل النظرية الماركسية في كامل بنائها». أما مهدي عامل فيعيب على سعيد نقده للتفاقة السائدة الطاغية دون أن يحدد طابعها الطبقي التاريخي، كما يرى سعيدا أسير للمنطق الأرسطي والنظرة المثالية حين افترض تناقضا بين تعاطف ماركس مع الهنود واعتباره أن الاحتلال الإنجليزي ثورة في تاريخ الهند. مهدي عامل يعيب على سعيد أنه في نقده الاستشراق لم يكن ماركسيا، ويستنتج مهدي عامل من نقد سعيد ماركس نتيجتين الأولى هي أن سعيد لا يقتصر على تصور ماركس الشرق وحده، بل بطل النظرية الماركسية في كامل بنائها، والثانية هي أن سعيدا يطالب المفكرين العرب الراديكاليين الذين كما يقول سعيد "أخذوا ماركسيتهم بالجملة عن النظرة ماركس التسلطية" بالتالي عن الماركسية. ثانيا : النقد الصهيوني: إن موقف إدوارد سعيد من القضية الفلسطينية كان لها وقع كبير في الشارع الأمريكي ، فقد حمل رسالة واضحة في الدفاع عن القضية حياته وحقوق مواطنيه، فدفع ثمنا باهظا، حتى كادت روحه أن تزهرق في محاولة اغتيال، وأصبح في مرمى النقد الصهيوني ووجهت ضده ترسانة إعلامية لتشويه صورته والتقليل من دوره، وسأناقش في هذا المجال شخصيتين قاما بنقده، ودفعهما لنقده موقفه من الصهيونية، هما : «برنارد لويس» والكاتب اليهودي «جستس رايد فاينر»<sup>1</sup>.

1/ نقد «برنارد لويس»: حدث هجوم متبادل بين إدوارد سعيد وبرنارد لويس، فسعيد تحدث عنه في كتابه «الاستشراق (من صفحة 478-482) ثم رد عليه لويس في كتابه إحدى مقالاته التي جمعت في كتاب «الإسلام والغرب». وقبل الحديث عن نقد لويس لإدوارد سوف ماكتبه سعيد في «الاستشراق». يعتبر سعيد «برنارد لويس» من الحالات الجديرة بالفحص، لأنه يتمتع بمكانة بارزة في المجال السياسي للمؤسسة أتجاوز أمريكية المختصة بالشرق الأوسط، ويعتبر فيها مستشرقا علامة، وكل ما يكتب يتضح بالسلطة التي يتمتع بها ذلك المجال. ويستمر سعيد في عرض آراء لويس حول العرب والمسلمين مثل: أن الإسلام عقيدة معادية للسامية لا مجرد دين، وأن الإسلام ظاهرة غير عقلانية تستلهم منطق القطيع أو الجماهير وتسيطر على المسلمين بالانفعالات والغرائز وضروب الكراهية الخالية من الفكر، وأن الإسلام لا يتطور مثلما لا يتطور المسلمون، وأنهم يدمنون الأساطير، ويختم إدوارد تعليقه على هذه الآراء بقوله: «فالواقع أن لويس يبدي التعجرف والاستخفاف بنفسه وقضيته، فهو على استعداد-مثلا- لترديد الحجة العربية ضد الصهيونية (مستخدما اللغة السائدة بين الوطنيين العرب) دون أن يذكر -في أي شيء مما كتب -أنه وقع غزو صهيوني لفلسطين واستعمار استيطاني لها رغم أنف السكان العرب وضد إرادتهم . وإذا انتقلنا الى نقد «برنارد لويس» ل«إدوارد سعيد» نجده يبدأ هجومه بقوله: «إن إدوارد

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص184

سعيدا هو الممثل الرئيس لمعاداة الاستشراق في الولايات المتحدة الأمريكية منذ عدة سنوات خلت ، وكان قد نشر كتابه «الاستشراق» أول مرة عام 1978م....<sup>1</sup>.

وأهم مأخذ «لويس» على كتاب الإستشراق ومؤلفه في النقاط التالية:

1- يرى لويس أن إدوارد استبعد الدراسات التركبية الفارسية من جهة والدراسات السامية من جهة أخرى، لأن الشرق -من وجهة نظر لويس- بالنسبة لسعيد انحسر الى الشرق الأوسط الذي انحسر أيضا الى جزء من العالم العربي. ونلاحظ نقد لويس عدم اقتباسه لتوضيحات سعيد حول هذه الجزئية مع ان سعيدا أوضحها بصورة كافية ، وهذا يشعرنا بعدم موضوعية نقد لويس وتقصده للطعن في جهد سعيد دون استدلال مقنع. وقد بين سعيد في كتابه «الاستشراق» مبررات اختياره الشرق الأوسط بعد استشهاده بقول «غرامشي» (1891-1947م): "إن نقطة الانطلاق عند الشروع في نقد تفصيلي تتمثل في الوعي بالذات وفي معرفة النفس بصفاتها نتيجة لعملية تاريخية جارية حتى تلك اللحظة". وينطلق سعيد من هذه المقولة ليقول: "معظم رصيدي الشخصي الذي أستثمره في هذه الدراسة -أي: الاستشراق- مستمد من وعيي بأني «شرقي» باعتبار أنني نشأت طفلا في مستعمرتين بريطانيتين ، أمت تعليمي في هاتين المستعمرتين (فلسطين ومصر) وفي الولايات المتحدة ، فقد كان غربيا ، ومع ذلك فإن الوعي المبكر العميق ظل قائما.

2- ينتقد تحديد سعيد التاريخ الاستشراق ، يقول :إن سعيدا "يضع على وجه الخصوص التطور الرئيسي للدراسات العربية في بريطانيا وفرنسا ويحدد لها تاريخا يعود إلى ما بعد التوسع البريطاني والفرنسي العربي .لقد تأصلت تلك الدراسات تماما -كما يرى لويس- في بريطانيا وفرنسا في الحقيقة منذ زمن بعيد سبق حتى التاريخ المبكر الخاطئ الذي يحدده السيد سعيد للتوسع البريطاني والفرنسي " .يأتي هذا النقد من رجل أكاديمي وهو يعرف جيدا أن لأي باحث تحديد فترة زمنية يقوم بدراسة موضوعه في هذه الفترة التي حددها وذكر مبررات تحديده لها. وعند الرجوع لكتاب «الاستشراق» نرى بوضوح مبررات سعيد حول تركيزه على القرون الثلاثة ، بل نجده يرجع تطلع حكام الغرب إلى الشرق بدأ منذ القرن الثاني قبل الميلاد فصاعدا. وتوقف أيضا عند القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، وأوضح كيف انتشر الاعتقاد بأن بلاد العرب تقع على حافة العالم المسيحي ، وأنها ملجأ طبيعي للزنادقة الخارجين على القانون<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص 185-186

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 187-188.

3- يرى أن لسعيد عدة حيل -كما يسميها- من أبرزها: إعادة التنظيم الاعتباري للأوضاع التاريخية، والاختيار العشوائي للبلاد والأشخاص والكتابات ، وإعادة تفسير النصوص التي اقتبسها إلى حد ليس فيه انسجام معقول أبدا مع الآراء الظاهرة لكتابها ، وتصنيفه تحت فئة المستشرقين سلسلة من الكتاب والأدباء من أمثال "نزفال (1855-1808م)، والإداريين الاستعماريين من أمثال اللورد "كرومر" وآخرين والذين أعمالهم دون شك -حسب رأيه وثيقة الصلة بصياغة المواقف الغربية الثقافية، ولكن ليس لهم أي علاقة بالتقاليد الأكاديمية دون للاستشراق التي هي هدف سعيد الأساسي. ذكر لويس هذه الادعاءات دون أن يذكر لنا من أمثلة من النصوص المقتبسة وكيف حرفها سعيد عن ظاهرها؟! أما اختياره للأدباء أو المستعمرين فكان نابعا عن إيمان بأنهم قاموا برسم الشرق وقاموا بتمثيله ، وساهموا في إنتاج صورة نمطية عن الشرق والرجل الشرقي ، وحديثه عن الإداريين والمستعمرين غاية في الغرابة مع بسط سعيد لجهودهم في الاستشراق ، فقد تحدث بإسهاب عن حملة نابليون وأثرها في الدراسات الشرقية وتجنيده المستشرقين في التخصصات كافة لتأليف كتاب «وصف مصر» والذي نشر في ثلاثة وعشرين مجلدا ضخما في الفترة من (1828-1809) والذي كان يتسم بطابع هجومي لا يقل عن طابع الجيش -كما وصفه إدوارد.<sup>1</sup>

4/إغفال سعيد في عملية المسح لأسماء الباحثين الألمان والروس ، وإن كانت إسهامات الباحثين الروس قليلة فهي نافعة -كما يرى لويس- لعمل سعيد من حيث «إن البحث العلمي السوفيتي ، وخصوصا معالجته المناطق الإسلامية ومناطق أخرى غير أوروبية من الاتحاد السوفيتي هو أقرب ما يكون -وأكثر بكثير أيضا من أي باحث إنجليزي أو فرنسي بدينهم -إلى نوع الدراسات المتحيزة والمحرفة التي يكرهها السيد سعيد لدى الآخرين». يبدو أن لويس ينتقد ما يوضحه سعيد من مبررات لمشكلة بحثه والحدود الزمانية والمكانية التي ينظر فيها، هذه النقطة التي ينتقدها لويس تحدث عنها سعيد في "الاستشراق" وذكر الأسباب التي دعت به يقصر بحثه على التجارب الفرنسية والبريطانية والأمريكية فيقول «فقد ظلت أمامي مشكلة تخفيض حجم المادة تسهل معالجته ، والأهم من ذلك وضع الخطوط العريضة لما يشبه الترتيب الفكري لمجموعة النصوص المختارة لا الالتزام بالتسلسل الزمني دون خطة فكرية.<sup>2</sup>

/ ثالثا: النظرة الضيقة للاستشراق : تركز اهتمام إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" على جانب السياسي وأغفل الجوانب الأخرى للاستشراق ، ويؤكد ذلك التعريفات الثلاثة التي ذكرها سعيد للاستشراق والتي تتلخص في أن الاستشراق مبحث أكاديمي يدرس الشرق ، وأنه أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى الشرق وبين ما يسمى الغرب، وأنه أسلوب غربي للهيمنة على الشرق ، وإعادة

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص 189-190

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 198

بنائه والتسلط عليه، ثم يلخص رأيه بأن الاستشراق هو "الوعي الجغرافي السياسي المبتوث في النصوص العلمية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية واللغوية"، وهذا المفهوم للاستشراق سبب خلا كبيرا في دراساته للاستشراق، حيث حصر هدف الاستشراق في الجانب السياسي والاستعماري، وأغفل الأهداف والدوافع اخرى، لذا نجد الصوت السياسي في كتابه يشعرك بأنه الصوت الوحيد للاستشراق. إن فهم إدوارد سعيد للاستشراق واعتماده على مناهج النقد الأدبي في التحليل يقودنا إلى طرح سؤال جريء: هل كتاب «الاستشراق» لإدوارد سعيد يناقش فكرة الاستشراق أم يناقش مسألة أخرى؟ وسألخص الحجج الدالة على أن الكتاب لا يناقش قضية الاستشراق بعموميتها، وذلك في النقاط التالية: الحجة الأولى: عدم استعابه لدوافع الاستشراق:

**الاستشراق له عدة دوافع منها :**

**1/-الدافع الاقتصادية والتجاري:**

وقد ظهرت تلك الأهداف التجارية في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين. فقد كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعاتهم التي كانت في طريقها للازدهار. ومن أجل هذا وجدوا أن الحاجة ماسة للسفر إلى بلاد الإسلامية، والتعرف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية، حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد، وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك من تحقيق فوائد كثيرة تعود على تجارتهم وصناعاتهم بالخير العميم.

**2/الدافع الاستعماري والسياسي :**

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين -وهي ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية- لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب وبلاد الإسلام، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتتموه، ثم لما تم لهم الاستلاء العسكري والسيطرة السياسية، كان من دوافع الدراسات الاستشراقية الرغبة بإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم، وكان لهم في ذلك وسوس كثيرة، تسلوا بها إلى نفوس أبناء المسلمين<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> المرجع نفسه 199-200

بدأ الاستشراق بالرهبان والقساوسة والنصارى ، ثم استمر بعد ذلك ومعظم المستشرقين من رجال الكهنوت المسيحي ، وكان هؤلاء مدفوعين بدافع الانتصار للنصرانية ، والرغبة بتتصير المسلمين الذين اكتسحوا إمبراطوريتهم واستطاع دينهم الحق أن يغلب النصرانية المحرقة في نفوس أتباعها واتجه هؤلاء للطعن في الإسلام وتشويهه محاسنه وتحريف حقائقه بغية إقناع جماهيرهم التي لزعاتهم الدينية بأن الإسلام دين لا يستحق الانتظار . والهدف الديني للاستشراق كان يسير منذ البداية في اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معا جنبا إلى جنب ، وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتي :

**1/محرابة الإسلام والبحث عن المشتبهات ، وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذة من النصرانية واليهودية ، والانتقاص من قيمه وإلحظ من قدر نبيه .. إلخ.**

**2/حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه عنهم ، وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة ، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.**

**3/تتصير المسلمين : وقد كان قرار (فيينا)الكنسي في1312م وقرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة «كامبردج» ، بعد ذلك بأكثر من ثلاثة قرون ، وتأسيس مجلة العالم الإسلامي ( The Muslim World) عام 1911م عن طريق «صمويل زويمر» رئيس المنصرين في الشرق الأوسط ، والذي توفي في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي . كانت هذه بعض الشواهد الظاهرة في اتجاه خدمة الهدف الديني والعمل من أجله في محيط الاستشراق .**

### 3/ الدافع العلمي:

ومن المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانهم وثقافتهم ولغاتهم ، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العملي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبية من المستشرقين ، بل إن منهم من اهتدى إلى اسلام وأمن برسالته . على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانه وإخلاص ، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجاً ، لا عند رجال الدين ، ولا عند رجال السياسة ، ولا عند عامة الباحثين ، ومن ثم فهي لاتدر عليهم ربحاً ولا مالا ، ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين . الحجة الثانية:النقد الأدبي: إدوارد سعيد متخصص أكاديميا بالأدب المقارن والنقد ادري ، فهو على اطلاع واسع بمدارس النقد الأدبي الغربية ، واستطاع أن يوجد له منهجيا نقديا لتحليل النصوص الاستشراقية ، لذلك نرى أن "الاستشراق" و"الثقافة والإمبريالية" يعتبران تطبيقا لمنهجه النقدي الذي فصلنا فيه القول ، وعلى هذا من الممكن نصنف هذين الكتابين في

تخصص النقد الأدبي وهما مفيدان للمهتمين بهذا التخصص. الحجة الثالثة: «التمثيل»: إن الفكرة الأساس التي يطرحها سعيد في كتبه هي التمثيل، وقد أوضحنا أن المراد بهذا المصطلح الصورة النمطية الخاطئة للشرق في عقول الغربيين، وعلى أساس هذه الفكرة بأخذ يقرأ ويحلل النصوص المتعلقة بالشرق في كتب الأدباء، والروائيين، والسياسيين، ولذا هو كتاب في كتاب في التمثيل أقرب منه إلى الاستشراق في مفهومه الواسع. الحجة الرابعة: تركيزه على الاستشراق المسيء للعرب والمسلمين: من يطلع على الاستشراق لا يستطيع الخروج برؤية واضحة حول مستويات المستشرقين وإنتماهم، وهذا خلل في دراسة تحمل اسم الاستشراق ولا يخرج القارئ منها بتصنيف موضوعية وعدل وإنصاف، فهناك مستشرقون منصفون مثل (محمد أسد)، و(عبد الواحد يحيى جينون) و(مراد هوفمان)، وآخرون متعصبون من أمثال: جولديزهر وبرنارد لويس و كارل بروكلمان و راييموند شارل.<sup>1</sup>

1/ الحجة الخامسة: تجاهله لكتب المستشرقين تجاه الإسلام: مر بنا أن إدوارد خصص كتابه الاستشراق للحديث عن العالم العربي والإسلامي، ومع هذا لم يستعرض كتابات المستشرقين المتعلقة بالإسلام بشكل واسع، ولم يتحدث عن وجه الخطأ في كتاباتهم تجاه الإسلام من المصادر الإسلامية، ومن المعلوم أن المتخصص بالاستشراق يجب أن تكون له القدرة على التعامل مع المصادر الإسلامية، وإدوارد سعيد تحدث كثيرا عن الهجوم الغربي على الإسلام هجوما ظالما ولم يتطرق لتلك الافتراءات الظالمة فضلا عن ان يكشف صورة الإسلام الحقيقي، ومن وجهة نظري أن هذا خلل ظاهر لشخص تبنى كشف مسألة لم يتطرق لبعض تفاصيل أدلتها، وسيأتي تفصيل لهذه المسألة لكني أردت الإشارة إليه كدليل على نقص دراسة إدوارد حول الاستشراق. رابعا: ضعف اطلاعه على دراسات المستشرقين تجاه الإسلام: كتب إدوارد سعيد كتابات عديدة يكشف فيها حقيقة الموقف الغربي من الإسلام وفي كتابه الاستشراق تحدث عن هذا الموضوع بل كان العالم العربي والإسلامي هما حدود بحثه، يقول سعيد: «إنني لست معنيا بإمطة اللثام عن الشرق أو الإسلام الحقيقيين، ولا أملك القدرة على ذلك» وهذا يفسر لنا بعده عن الخوض في مسائل ليست له عليها قدرة. إن تجاهل سعيد للدراسات الاستشراقية التي طغنت في الإسلام. بالاعتماد على تحريف أدلته أو الكذب والافتراء عليه، أمر أخل بدراسته للاستشراق، وقدرته على الإقناع فيها، فقد كان الأولى به أن يستدل بنماذج لدراسات استندت على أدلة إسلامية أو أقوال لعلماء مسلمين ويكشف كيفية تزييف المستشرقين لها.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص 204

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 205



### المبحث الثاني: أهمية الكتاب وقيّمته:

عند قراءة كتاب الإستشراق لإدوارد سعيد نستنتج تدريجيا بأنه يمثل خطابا فكريا بليغا أكثر منه نصا مكتوبا بروح علمية خالصة . فهو ليس بحثا يستقرئ كتابات المستشرقين للكشف عن الموقف الثقافي المرتبط بالسلطة مثلما ذهب إليه بعض النقاد ، ولا هو مجرد سياحة تأملية محملة بإسقاطات إيديولوجية تغذيها تجارب الكاتب الشخصية . فالنقطة الأساسية التي أثارها هذا البحث هي أن إدوارد سعيد استطاع إحراز نجاح مذهل في جعل كتابه مقروءا على الصعيد العالمي والغربي على وجه الخصوص .

ترجم كتاب الإستشراق إلى عشرات اللغات الإنسانية المتداولة ، وما كان لهذا الكتاب أن يجد مثل هذه الفرصة النادرة من ذبوع الصيت والانتشار لولا نفوذ صاحبه العلمي وكونه أحد ألمع أساتذة كولومبيا المصنفة باعتبارها إحدى أفضل خمس جامعات في الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد ذاع صيت هذا الكتاب لأنه غني باللغة الأدبية الفخمة المتعالية على اللغة العادية .

كتاب الإستشراق هو لغة صعبة تعتمد على الإيحاء ، وقد ترجم هذا الكتاب كمال أبو ديب وهو المترجم الأول له سنة 1981، ومحمد عناني المترجم الثاني له سنة 2006 ، ويرى كثير من القراء أن ترجمة الثاني هي الأكثر توفيقا في إيصال أفكار الكتاب الأصلي ؛ فهو ينتهج نهج التفسير والتوضيح ، أما الأول تتبدى في ترجمته سمة الإبهام والتعقيد والغموض ويغلب عليه انتهاج متشدد في التعريب عموما .

وقد وفق إدوارد سعيد في استثارة الباحثين والقراء ودفعهم إلى دراسة كتابه وتبنيه ، وهذا يعد نجاحا كبيرا يحسب للكاتب والكتاب.<sup>1</sup>

كان كتاب الاستشراق نقلة إدوارد سعيد نحو تحليل العلاقة بين القوة والمعرفة ، وأداء الخطاب الاستشراقي العام لوظيفة تعبوية وسياسية وتخيلية خدمت السياسات الاستعمارية وشكلت جزءا يتجزء من مناخات صعود الإمبريالية<sup>2</sup>

يتحدث إدوارد سعيد في كتابه " تعقيبات عن الإستشراق " عن كتابه " الاستشراق " وظروفه وقد وضح في قوله " في أمريكا وأنجلترا ( حيث صدرت الطبعة البريطانية المستقلة عام 1979 أثار الكتاب الكثير من الاهتمام ) كان بعضه عدائيا للغاية وبعضه الآخر غير متفهم ومعظمه إيجابي وحماسي ... ثم ظهر

<sup>1</sup> د. لطيف نجاح شهيد القصاب ، مجلة دراسات استشرافية الاستشراق في فكر إدوارد سعيد قراءة في منهج خطاب . السنة الخامسة 2019 / 1440 ، العدد 17

<sup>2</sup> إدوارد سعيد ، ت: صبحي حديدي ، تعقيبات على الاستشراق ، دار الفارس ، 1996 ، ط1، ص 26.

الاستشراق باللغات اليابانية ، الألمانية ، البرتغالية ، الإيطالية ، البولندية ، الإسبانية ، الكاتالانية ، التركية ، والسويدية...<sup>1</sup>

ثم قال أنه كان قدر كتاب الإستشراق محظوظا وعائر الحظ في آن واحد فبالنسبة إلى الذين يتحسسون وطأة التعدي الغربي بقلق وضنك في العالم العربي والإسلامي ، تمثل مغزى الكتاب في أنه الأول الذي يعطي ردا مضادا جديا على غربي رفض على الدوام الإصغاء إلى الشرقي ، وام يغفر للشرقي أنه بقي شرقيا ، وان مراجعة عربية مبكرة للكتاب أشارت إلى المؤلف كبطل من أبطال العروبة ، ومدافعا عن لمقهورين والمظلومين نذر نفسه لزج أعظم السلطات الغربية في مواجهة مفتوحة ملحمية ورومانتيكية.<sup>2</sup> وأضاف " ويؤسفني القول بالتالي أن الاستقبال العربي للاستشراق رغم الترجمة المرموقة التي قام بها أبو ديب تابع إهمال ذلك الجانب بالتحديد من الكتاب ؛ أي ذلك الذي يقلل من الحمية القومية التي استمدتها البعض مت نقدي للاستشراق والذي قرنته ببواعث الهيمنة والسيطرة المتوفرة في الإمبريالية أيضا .."<sup>3</sup> وقال بأنه رأى وقصد أن يكون كتابه جزءا من تيار فكري سابق الوجود ، هدفه مت كتابة هذا الكتاب هو استفادة القراء مما قام به ولينتجوا دراسات جديدة للعرب وللآخرين .<sup>4</sup>

وقال أنه يدرك أن الكتاب امتلك على الأقل فضيلة الانخراط الصريح في النضال ، الذي يتواصل بالطبع في الغرب والشرق على حد سواء.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص99

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 107

<sup>3</sup> المرجع نفسه ص 112

<sup>4</sup> إدوارد سعيد ، ت: صبحي حديدي ، تعقيبات على الاستشراق ، دار الفارس ، 1996 ، ط1 ص114

<sup>5</sup> المرجع نفسه ص133.

المبحث الثالث : الاستشراق بين دعائه ومعارضيه:

وقد أعد الباحث هاشم صالح مجموعة من الأبحاث، والمناقشات التي كتبها بعض أعلام المستشرقين ، يدافعون بها عن الاستشراق من جهة، ويردون على ما كتبه أنور عبد الملك في مقالته «الاستشراق مأزوما» وما طرحه إدوارد سعيد في كتاب «الاستشراق». وقبل أن يضع تلك النصوص التي النصوص التي ترجمها أمام القارئ، أكد على أن موضوع الاستشراق يثير وجهات نظر متباينة. ولا بد من الوقوف على عدة نقاط مهمة قبل الخوض في غمار هذا الموضوع الشائك والصعب . 1/ لا يمكن فهم المناقشة الاستشراقية أو السجال القائم من حولها بين المثقفين العرب من جهة ، والمستشرقين من جهة ثانية ، إلا إذا تم وضع هذه المناقشة في إطارها العام من الصراع الكائن بين الشرق والغرب . 2/ معركة الخطابات الاستشراقية تبدو غير متكافئة بين طرفي الصراع ، ولهذا تبدو الخطابات العربية ذات طابع اجتماعي ، اتهامي ، في حين تبدو خطابات المستشرقين هادئة ، باردة ولكنها متعطرة ، متعجرفة . 3/ الخطابات الاستشراقية ليست واحدة ، وهي ذات منهجيات مختلفة ، وفروقات متباينة ، وعلى هذا الأساس ، لا يجوز النظر إليها من زاوية واحدة ولا الحكم عليها بمقياس واحد . 4/ كذلك الأمر بالنسبة لخطاب المثقفين العرب إزاء الاستشراق فهو لا يشكل واحدة ، منسجمة ، بل يتألف من اتجاهات متغايرة ، وأحيانا متناقضة

**فرنسيسكو غابرييلي:**

بعد هذه التوطئة يورد الباحث دفاع غابرييلي المستشرق الإيطالي المشهور ، ويسوق أفكاره التي دافع بها عن الاستشراق ، ومنجزاته ، في سياق رده على مقالة أنور عبد الملك ، ورأى غابرييلي أن التهمة التي تكال للاستشراق بارتباطه مع الظاهرة الاستشراقية صحيحة في بعض جوانبها ، ولكن لا يجوز أن نعمم ذلك على كل المستشرقين الذين كان بعضهم قد سار في ركاب تلك الظاهرة ، ولكن بعضهم آخر كان ينطلق من اهتمامات علمية ، لا علاقة لها بالأهداف والغايات السياسية والاستعمارية . كما رد غابرييلي على التهمة الثانية التي تقول: إن المستشرقين اهتموا بماضي العرب ، دون حاضرهم لغاية تهدف إلى تعقيب دورهم في الحضارة المعاصرة ، ويرى أن العرب أعطوا للحضارة البشرية تراثا مشرقا ، له قيمة عظيمة ، لا يمكن نكرانها ولكن دورهم تضاعف في قرون الخبرة ، ونحن لا تزال كنا يقول: ننتظر من الشرق أن ينهض من جديد .<sup>1</sup> وقد عبر عن موقفه كمستشرق من حضارة العرب وتراثهم ، فقال : إنني كنت دائما أشعر بمدى شرفها ، وكرامتها بصفحتها إحدى المكونات الشرقية لتاريخ البشرية ، وإنني أرفض هذا التقييم الظالم لأعمال الأجيال المتتالية من المستشرقين ، أو المختصين بمعرفة الشرق والذين لا يهدفون إلي غرض ، أو مصلحة شخصية من وراء ذلك» .

<sup>1</sup> صالح هاشم /الاستشراق بين دعائه ومعارضيه -لندن دار الساقي 1998م ،ص260

**كلود كاهين :** وهنا يشير كاهين إلى الخدمات التي قام بها المستشرقين في نشر التراث العربي ،والتعريف به .ولكنه يعترف ببعض ثغرات الاستشراق التي نجمت عن الظروف التي لازمت القضية الاستشراقية ،أو أحاطت بها ،ولا سيما الظاهرة الاستعمارية ولكن ذلك كما يقول :لا يجوز أن يجعلنا نقع في دائرة التطرف المضاد الذي ينكر كل قيمة للأبحاث التي أنجزت ضمن ذلك المناخ . ويؤكد كلود كاهين أن على المستشرقين أن يعيدوا النظر في تلك الدراسات التي كتبت من وحي نظرة خارجية .تعيد التوازن إلى الأمور ،ويلح من جديد على دارسة المجتمعات الشرقية من داخلها .ويدعو الباحثين العرب .والمشاركة إلى الاستفادة من منجزات العلوم .والمناهج الحديثة في دارسة مجتمعاتهم بهدف الكشف عن الجوانب التي قد لا يدرك المستشرقون أبعادها ولا يحسنون تصورهما .

**\_ مكسيم رودنسون:** لقد خصص هذا المستشرق مقالات عديدة دافع بها عن الاستشراق ،ورد فيها على ما طرحه أنور عبد الملك ،وإدوارد سعيد من اتهامات المستشرقين ففي مقالته «الدراسات العربية \_الإسلامية في أوروبا» تحدث رودنسون عن نشوء الاستشراق والظروف التي أحاطت بتلك النشأة ،وأشار إلى مناهج المستشرقين في إطارها التاريخي -الفلولوجي- ثم دعا إلى تطوير تلك المناهج ،وإدخال مناهج جديدة كالألسنية.والسوسيولوجية ،والأنثربولوجية .

### الان روسيون:

يسعى روسيون في تأكيد دفاعه عن الاستشراق إلى عرض مواقف المثقفين والمفكرين العرب ، وهو يرى أن ثلاثة تيارات عبرت عن تصورات هذه النخبة الفكرية إزاء المشروع الاستشراقي فهناك تيار يرفض الاستشراق جملة وتفصيلا ، ويدين أعمال المستشرقين وكتاباتهم ويصفها بأنها كرسست النزعة الاستعمارية ، عبرت عن فكرة المركزية الأوروبية .

أما التيار الثاني فهو يقول بضرورة قبول وتبني ما طرحه المستشرقون دون تحفظ ، وكما هو بمختلف تياراته ومناهجه ،والخلفيات التي تحكمت به .

في حين يتجه التيار الثالث إلى طرح رأي معتدل ،ومن خلال بناء علاقة موضوعية في التعامل مع الانتاج الاستشراقي تقوم على أرضية نقدية في الأخذ بالتجاوز وذلك على هدي البصيرة النقدية ،والمنهج العلمي الذي يتفحص ،ويناقش ويتأمل ،ومن خلال ذلك يلخص روسيون إلى فكرة أساسية ، وهي أن اتهام الاستشراق كما ورد على لسان أنور عبد الملك ،وإدوارد سعيد لا يشكل موقف معبرا عن شمولية الساحة الثقافية العربية مع تأكيد على أن التيار الثالث قد يكون أكثر دقة وموضوعية في تقويم الجهد الاستشراقي ككل ، وإعادة النظر في بنيته وفي طبيعته .

ومن هذا المنطلق أورد روسيون اعتراضات بعض المفكرين العرب على كتاب إدوارد سعيد كالذي كتبه جلال العظم في دفع كثير من آراء سعيد التي احتواها كتابه المشهور.

أما رأي روسيون فهو أن إدوارد سعيد وكما قال بيرس كيمب " أغرق مركبا كان قد غرق سابقا "

**محمد أركون وغوستاف غرونباوم:**

يختتم الباحث هاشم صالح كتابه بعرض رؤية محمد أركون لطبيعة المنهجية الاستشراقية ، وذلك مقالة له عن كتاب "الإسلام الحديث" لغرونباوم وكتاب "في فهم الإسلام" لسميث.

وكتابات أركون لا تدخل في دائرة نقد الاستشراق ، وإدانتها ولكنها تأخذ منحى التعامل الموضوعية مع إنتاجات المستشرقين ، على نحو يبرز إيجابياته و ينتقد سلبياته في إطار مواجهة إيجابية ، تقوم على الحوار ، والنقاش وتبادل الرأي .

وبعد ، فهذا الكتاب منبر للحوار ، يتسع للرأي ، والرأي الآخر ، وقد حرص الباحث هاشم صالح من خلاله على طرح المسألة الاستشراقية في أبعادها الواسعة ، وأتاح بذلك للقارئ العربي أن يقف على جدل الاستشراق ، وما يثار في مداراته من تساؤلات ، واتهامات ، وما ينهض من آراء طرحها المستشرقون دفاعا عن إنتاجهم وجهودهم ، وغاياتهم وأهدافهم .

والكاتب بحد ذاته دعوة مفتوحة للحوار ، والنقاش بهدف تصويب وتصحيح حالات سوء الفهم المشترك ، وبلوغ مرحلة من التفاهم تكون السبيل إلى ردم الهوة القائمة وبناء جسر من العلاقات المتوازنة الإيجابية بين الثقافة العربية ، والثقافات الأوروبية.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> صالح هاشم /الاستشراق بين دعائه ومعارضيه -لندن ، دار الساقى 1998م، ص260

كشاف المصطلحي :

ESTATE	إقطاعية : مساحة من الأرض ، كمزرعة كبيرة في الأرياف
ONTOLGICAL	وجودي : منسوب إلى الانطولوجي
HEAD,ON.ATTACK	هجوم مباشر
MEDIATE	وسط : بمعنى البنيوي "توسط".
MEDIATOR	وسيط:توسط
POSSTIVISTICAILY	الوضعية
JUDEOn. CHRISTIAN	اليهود سيحية ، مركبة من اليهودية ، المسيحية
ETHNDOGY	علم الأصول العرقية
SCIENTISTIC	علموي : ليس علميا بحق
KINDEREDSCIENCES	العلوم النسبية : العلوم المتقاربة في موضوعاتها أو أساليبها :
PARADOX	المفارقة الضدية :
INDIVITDUALIZED	مفردنة:معطاة صفة الفردية
BVREAUOCRACY	المكتابية: البيروقراطية :
NOTES	ملحوظات :
NOTE BOOK	دفتر ملحوظات :
COMICALLIY	ملهائية : كوميدية ،نسبة إلى ملهاة
INDEX	مؤشر : في كتاب كشاف التي ترد فيها أسماء أو موضوعات معينة
CODE	نظام ترميزي :
SOCIO.POLITICAL	الإجتماعي: مركبة من الإجتماعي -السياسي

### خاتمة :

من خلال ما ذكرناه سابقا ، نستخلص أن الاستشراق مجال واسع متعدد للمفاهيم والنظريات ، وهو أسلوب غربي انتهجه مؤيديه أمثال إدوارد سعيد للسيطرة على الشرق ككل، والهدف الأساسي من هذا كان القضاء على الديانات الإسلامية والاعتراف بالمسيحية .

وبخصوص الكتاب الذي أقمنا عليه هذا البحث بعد دراستنا له ، فقد كان بالنسبة لنا رحلة من نوع خاص ، يحفل المصطلحات دخلت قاموس اللغة العربية المرة الأولى ، ولا بد من الإشادة بالجهد الواضح الذي بذله الدكتور كمال أبو ديب من خلال ترجمته لكتاب إدوارد لإيصال فكرته لنا على أكمل وجه ، ورغم ذلك إلا أننا لاحظنا غموض وتشويق لم تشهده من قبل بخصوص مصطلحات ومفاهيم كتب أخرى ، فهو من الكتب التي تتحدى القارئ ولا تبوح بأسرارها من القراءة الأولى ، وقد لقي صدى واسعا لدى العرب والغرب ، وقد استمتعنا كثيرا في دراسته ، واستفدنا منه ولو قليلا ، لأن الاستشراق دراسة عميقة وغامضة ، وليس من السهل معرفته في دقيقة .

قائمة المصادر والمراجع :

أحمد عبد الرحيم السايح ،كتاب الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ،الدار المصرية ،الليبنانية ،الطبعة الأولى 1417 هـ-1996م.

إدوارد سعيد ،ت:صباحي حديدي ،تعقيبات على الإستشراق ،دار الفارس 1996، ط.

الإستشراق عند إدوارد سعيد ،رؤية إسلامية ،د:تركي بن خالد الظفيري ،مركز التأصيل للدراسات والبحوث المملكة العربية السعودية ،جدة ط2 1435 هـ-2010م.

محمود حمدي زقزوق،كتاب الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،دار المنار ط2 1409 هـ-1989م.

محمد فاروق النبهان ،الإستشراق،تعريفه،مدارسه وآثاره، منشورات المنظمة الإسلامية العربية والعلوم والثقافة إيسيسكو 1433 هـ-2012م.

ميجان الرويلي وسعد البازعي ،كتاب دليل الناقد الأدبي ،ط3 2002،المركز العربي .

سعدون الساموك ،الإستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية ،دار المناهج للنشر والتوزيع،ط1.

صالح هاشم الاستشراق بين دعائه ومعارضيه،لندن ،دار الساقى ،1998م.

مجلة:

لطيف نجاح شهيد القصاب ،مجلة دراسات إستشراقية ،الإستشراق في فكر إدوارد سعيد قراءة في المنهج خطاب ،السنة الخامسة ،1440 هـ-2019م،العدد 17.



